الجريدة المغلقة: ... ونتائج سياسية

مقدمات الزلزال



24 صفحة — 350 فلسا — اسبوعية ـ سياسية ـ مستقلة

السنة الاولى – العدد السابع والعشرون – الثلاثاء 14 نيسان 1998 تصدر عن دار الوحدة للصحافة AL-MEETHAQ 14 APRIL 1998 NO. 27 VOL. I

أهل الدقامسة: دفعوا دية القتيلات، وأطلقوا سراح عميلي الموساد، وبقي أحمد سجينا ؟؟

عشائر بني حسن تدعو لمؤتمر عشائري

مراكز القوى تعتدي على "الواجهات العشائرية" لاغراض التوطين



المستثمرون يطالبون باعلان حالة الطوارىء

البتراء أصبحت كنزا للسياحة الاسرائيلية

المعانية : أين مصداقية وزير الاعلام؟؟

شام واحدة ... وخندقان

● بقلم: ناهض حتّر

«من الشوام السبعة الى الشامات الاربع». تحت هذا العنوان الغامض، كتب الاستاذ احمد سلامة، مقالاً سجالياً ضد مركزية دمشق في بلاد الشام (الدستور 1998/4/5).

«والشوام السبعة»: رهط من الدماشقة عبّر عن ضيقه بكثرة ما ضمته حكومة الملك فيصل الاول بدمشق عام 1919، من عراقيين وحجازيين وفلسطينيين ولبنانيين، على حساب «الشوام». ويريد احمد سلامة ان يقول ان هذه العصبية المحلية الضيقة هي التي حددت، وتحدد، استراتيجية دمشق نحو «الشامات» الاربع: سورية، لبنان، فلسطين والاردن. فدمشق، اذن، ليست مركزاً، بل هي شام من بين الشامات المستقلة التي لكل منها عصبية ومصالح، وليس لاحدها فضل على الاخرى، فيصبح الامر كالتالي: اذا كانت دمشق تتفهم اضطرار الاردن الى التوقيع على معاهدة وادي عربة، فالاردن، بدوره، «يتفهم» اضطرار سورية الى عدم التوقيع على معاهدة سلام مع اسرائيل.

ويجادل سلامة، دمشق، على طريقة الاعلام العربي في الخمسينات: فدمشق قاتلت اسرائيل عام 1967، وخسرت؛ وقاتلتها عام 1973، ولم تكسب. وهي ضربت الفلسطينيين (اقرأ: العرفاتيين) في لبنان، وشاركت في «حفر الباطن» ... فليس لها، اذن، ان تعطينا دروساً. وانا احسد الزميل سلامة على يقينه وثقته، ولكنه يقين كلاميّ حسب، يواصل تقليداً اردنياً في المماهاة بين ممارسة الكلام وممارسة السياسة، فيصل الى ثقة لا تدعمها الوقائع، فالوقائع تقول ان الاردنيين، مثل الفلسطينيين واللبنانيين، انتهوا الى موقع هامشي في بلاد الشام، حيث توجد قوتان اقليميتان فقط: الكيان السوري الذي يعبّر قومياً، عن الشام كلها، والكيان الصهيوني الغازي الذي يعبّر عن ارادة الاستعمار ضد الشام كلها. وليس لنا، نحن اللاعبون الثانويون، سوى ان نكون في احد الخندقين. لقد اخترنا، وراء ياسر عرفات، الالتحاق بالخندق الاسرائيلي، فازددنا تهميشاً. واختار اللبنانيون، الخندق السوري، فحوّلوا ضعفهم الى قوة، واستطاعوا ان يهزموا الاحتلال الاسرائيلي هزيمة قاسية لا تفرض على المحتلين، الانسحاب، حسب، من ارض لبنان، ولكن من الاطماع في لبنان. وهكذا، فان لبنان الذي تخلّى عن بعض سيادته لسورية، خرج، ويخرج، من الصراع، حراً سيداً، غير مضطر لمقايضة السلام بالارض، وغير مضطر لمعاهدة سلام تفرض عليه التعاون مع المحتلين في المياه والبنى التحتية والصناعة والامن والمناهج المدرسية ...الخ ...الخ ...الخ (!!).

البقية ص 21

الميثاق

العدد 26 — الثلاثاء 7 نيسان 1998 — أسبوعية ـ سياسية ـ مستقلة

معان تكرم "الميثاق"

خلال سويعات نفدت كمية النسخ المضاعفة المرسلة من العدد «٢٦٠» من «الميثاق» الى محافظة معان: وقد قرىء العدد في اجتماع حاشد، وقرر الحاضرون اعتباره وثيقة من وثائق المؤتمر الشعبي لمدينة معان. من جهة اخرى، قام وفد كريم من معتقلي معان المفرج عنهم، بزيارة الى مكاتب «الميثاق» ثاني ايام العيد، الاربعاء.

«الميثاق» من جهتها، تحيي جماهير معان البطلة، وتعاهد مدينة الاباء على الاستمرار في نهجها، منبراً وراية للشعب الاردني.

* ايران استلمت ٤ رؤوس نووية من كازاخستان اضافة الى اليورانيوم المخصب من نفس المصدر.

بنيامين نتنياهو يتزعزع من قيام السوريين بحفر خندق على الجبهة السورية – الاسرائيلية.

* اصرار الحكومة اللبنانية على تنفيذ القرار «٤٢٥» دون قيد او شرط، وربط الانسحاب من الجنوب اللبناني بالانسحاب من الجولان.

* الاعلان عن احتفاظ الرئيس السوري حافظ الاسد بوثيقة موقعة من رابين يؤكد فيها موافقته على الانسحاب حتى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧.

* مؤتمر قمة عربية مصغر يعقد في المغرب ويضم بالاضافة الى المغرب كلا من مصر وسوريا والسعودية ولبنان وليبيا .. وحتى السلطة الفلسطينية .. دون الاردن.

* استذكرت الانباء خلال الاسبوعين الماضيين تصريحات الجنرال الروسي ليبير حول فقدان ٢٠٠ قنبلة نووية تكتيكية يمكن حملها في شنطات السمسونايت.

* ارتفاع نسبة الهجرة المعاكسة في اسرائيل.

* النية لاختبار صاروخ «شهاب٣» الايراني الذي يصل مداه ١٣٠٠كم وشحنته ٧٠٠ كغم.

* ذكر صحفي اجنبي فضل عدم ذكر اسمه بان حزب الله قد حصل فعلاً على اسلحة دمار شامل تصل الى اي مكان في اسرائيل.

أبعاد قبول نتنياهو القرار (٤٢٥)

ان مبدا قبول نتنياهو وحكومته بالقرار الدولي رقم (٤٢٥) القاضي بانسحاب اسرائيل من الجنوب اللبناني دون قيد وشرط الذي صدر في اعقاب احتلالها جنوب لبنان في ١٧ اذار عام ١٩٧٨، يؤكد بدون شك ولا ريب، ان دولة الكيان الصهيوني تهدف فيما تهدف الى ما يلي:

اولاً: عزل سوريا عن لبنان وعقد اتفاق منفرد مع دولة لبنان وحرمان الجيش العربي السوري من مواقع حيوية استراتيجية هامة في لبنان في حال وقوع مجابهة عسكرية بين سوريا واسرائيل.

ثانيا: تصفية المقاومة اللبنانية والقضاء عليها حيث توقع يوميا خسائر بالارواح والمعدات اليهودية، واستجابة لضغوطات الراي العام الاسرائيلي الذي دوخته عمليات المقاومة وافقدته الكثير من ابنائه.

ثالثا: الالتفاف على عملية السلام بخداع الراي العام العالمي وايهامه ان اسرائيل راغبة في السلام، في الوقت الذي ترفض فيه كل المقترحات الدولية من اجل استئناف مباحثات السلام وكسر جمودها خاصة مع السلطة الفلسطينية.

رابعا: وضع العراقيل امام عملية السلام برمتها لكون السلام بالمفهوم العربي، يعني الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة والهضبة السورية، وفق القرارات الدولية الصادرة بهذا الشأن.

واخيراً وليس اخراً استدراج الخصم الى الرفض، الامر الذي يزيد من احتمال قيام اسرائيل بعملية عسكرية واسعة النطاق في لبنان بهدف تقويض السلام، في الوقت الذي تتساءل «واشارت بذلك صحيفة الاندبندنت اللندنية» لماذا؟! نتنياهو يطرح قبوله بالقرار (٤٢٥) ويرسل مزيدا من قواته الى جنوب لبنان؟! حيث تقوم بتعزيز خطوطها ومواقعها الامر الذي سيربك المنطقة باسرها، ويبدد كل فرص احلال السلام الشامل.

● عبدالله مياس

اعتقال الزميل غيشان

قامت مجموعة من رجال الامن باعتقال الزميل يوسف غيشان، وتفتيش منزله في تمام الساعة الثانية عشر والنصف من صباح ليلة الاثنين ٩٨/٤/١٣ واستمرت عملية التفتيش حتى الساعة الثالثة من صباح نفس الليلة وقد تحدثت زوجة الزميل غيشان للميثاق فذكرت ان التفتيش شمل جميع اوراق وكتب غيشان وتمت مصادرة اوراق ورسائل خاصة به. من جانبه نفى الدكتور عبدالله النسور نائب رئيس الوزراء وزير الاعلام في لقاء يوم الاثنين مع الصحفيين علمه بحيثيات الموضوع، ووعد بمتابعة القضية.

«المعارضة الاردنية عندما تتكلم» في العدد القادم

تخلى «الحوارات» التي اجرتها الزميلة ربيعة الناصر، وتنشرها «الميثاق» على حلقات، باهتمام واسع من قبل القراء والاوساط السياسية والفكرية . . وقد حالت ظروف فنية دون نشر حلقة جديدة من هذه «الحوارات» في هذا العدد.

وستواصل «الميثاق» اعتباراً من العدد القادم، نشر حلقات جديدة من «المعارضة الاردنية عندما تتكلم».

اعتذار

تعتذر صحيفة «الميثاق» للاستاذ مازن الناصر مدير عام الشركة الاردنية للاستثمار على ما نشرته الصحيفة في العدد الماضي، وتعلّق بمصنع الفلاتر. ان الاستاذ الناصر، وهو شخصية وطنية ومحترمة، لعب دوراً اعتيادياً في انتخابات مجلس ادارة شركة الجنوب لصناعة الفلاتر، مما هو معهود الشركات، وعدا عن ذلك، فان له -- كما نعرف -- اياد بيضاء على محاولات التنمية في الجنوب.

الفارس ... يترجل

عاكف الفايز: عشائر بني صخر ... في الطليعة دائما

ربما كانت السنوات ٤٧ – ١٩٥١، ازهى سنوات الراحل الكبير عاكف الفايز، حين كان في مطلع شبابه، نائباً معارضاً في اول مجلس نيابي اردني في عهد المملكة، وسنفرد، في عدد قادم، مقالاً يستعرض دوره الحيوي في ذلك المجلس، وفي تأسيس المعارضة البرلمانية سنة ١٩٥١، وفي تأسيس الحزب الوطني الاشتراكي. ولكننا الآن، نكتفي، تحيةً للراحل الكبير، باقتطاف جزء من كلمته اللاهبة في جلسة البرلمان في ١٩٤٧/١١/٣٠، يوم بحث مشروع تقسيم فلسطين. قال الفايز رحمه الله، ما نصه:

«بالنظر الى تطور الحالة في فلسطين تطوراً خطيراً، وبالنظر الى القرارات المجحفة التي اتخذتها هيئة الامم، والتي يجب ان نعتبرها طعنة نجلاء في صميم الامة العربية قاطبة، وامتهاناً لكرامتها، وضياعاً لجزء عزيز وعرق نابض في كيان العرب، فاقترح عقد جلسة مشتركة مع مجلس الاعيان، لنبحث عملياً قضية فلسطين العزيزة، بحثاً علمياً صحيحاً واتخاذ قرارات حازمة للدفاع عنها، والذود عن عروبتها، فالخطر داهم وعلينا، شعباً وحكومة، ان نقف الآن وقفة جبارة دونما تريث أو تسويف».

وفي الجلسة المشتركة مع الاعيان في ١٩٤٧/١٢/٢، قال الفايز:

«انني اطلب اليكم ايها الزملاء ان تتقدموا بوضع برنامج عملي لينظم التطوع وكل ما شانه تنظيم الجبهة الشعبية المقاتلة وانذركم يا ممثلي الامة، ان يتقدم كل منكم بما يستطيع من رجال وعتاد، وانني شخصياً ورجال عشائر بني صخر نتشرف بان نكون في طليعة من يتقدم للذبح الحرية في فلسطين، وجسراً يبنى عليه مجد فلسطين العربي».

الميثاق

تصدر عن
دار الوحدة للصحافة
هاتف ٤٦٣٣٨٦٠ فاكس ٤٦١٣٨٦١
ص ب ٩١١٤٥٥ عمان ١١١٩١ الاردن

رئيس هيئة المديرين
ناهض حتر

رئيس التحرير المسؤول
عبدالله مياس

مدير التحرير
عبدالله ابو رمان

الاخراج الفني
ايمن ابو حجله

المدير العام
عبدالرحمن القطارنة

المدير الاداري
محمود الحياري

الطباعة :
الطباعون العرب

التوزيع:
مؤسسة الفريد

المقالات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

«الميثاق» تقضي العيد مع أسرة الدقامسة

أهل الدقامسة: دفعوا ديّة القتيلات، وأطلقوا سراح عميلي الموساد، وبقي أحمد سجينا

إبدر ما زالت تحمل ذكريات قصف الصهاينة لها

كتبت نهاد الزعبي

في ثاني يوم من ايام عيد الاضحى المبارك توجهت الى «إبدر» القرية المغروسة في شمال الشمال حيث اهل احمد الدقامسة او كما يدعونه الناس «احمد العربي»، احمد الذي أبت عليه كرامته، كما قال، الا الانتقام لها عندما هزئت منه ومن صلاته فتيات اسرائيليات صور لهن احساسهن بالفوقية المجتمعية، مع الكراهية لكل ما هو عربي، ان بامكانهن السخرية من جندي عربي بسيط دون ان يستطيع الرد، فكان الرد بحجم احساس أحمد بكرامته وبحجم الألم المغروس في ذاكرة اهالي قرى الشمال التي تعرضت لقصف الصهاينة، وسقط منهم الكثير من الشهداء، وعن هذا يحدثك اهل الشمال، وإبدر كانت احدى هذه القرى، وقد حدثنا أهل احمد عن تلك الذكريات المؤلمة.

وفي الطريق اليهم كنت حزينة برغم جمال الشمال بطبيعته الساحرة حيث الجبل والسهل والواد مجتمعين معا، ليشكلوا اروع سيمفونية في التاريخ، وقد اضفى حلول الربيع بهاء خاصاً. كنت افكر في الطريق، كيف ابدأ الحديث، هل ابتسم وانا اقول لهم «كل عام وانتم بخير»؟! وهل استطيع عندما ارى زوجة احمد واولاده واهله، والجميع يفتقدون عزيزهم المحكوم بالسجن المؤبد، واخيرا قررت ان اترك نفسي على طبيعتها وان أدع الموقف يحدد طبيعة تصرفاتي.

عندما وصلنا الى قرية إبدر ارشدتنا فتاتان كانتا جالستين امام احد البيوت القريبة الى منزل أهل احمد الذي

أحمد الدقامسة أصبح اسمه «احمد العربي»

كان مثل كل منازل أهل القرية بسيطاً ولكنه دافىء وعلى الباب استقبلنا والد احمد المصاب بشلل نصفي منذ مدة، وقد بدا عليه الاعياء، عرّفناه على انفسنا فرحب بنا، سألناه عن احمد فقال: انه بخير وان معنوياته عالية والحمد لله، وان اخاه الاصغر عبدالله وثلاثة من ابناء عمومته كانوا في زيارته اليوم – اي ثاني ايام العيد – وبأنهم ارسلوا له كتباً دينية وتاريخية كان قد طلبها.

وقد سألنا السيد موسى «والد احمد» كيف يتدبر اموره المالية، ولا سيما وان راتب احمد قد قطع بعد الحكم عليه، فقال ان زوجة احمد واولاده اصبحوا بلا معيل كما ان اخاه الاصغر عبد الله عاطل عن العمل، كما انه «والد احمد» الذي كان يعمل «قصيرا» ثم التحق بالجيش يتقاضى راتبا تقاعديا «٧٢» ديناراً يعيل بها عائلتي ولديه احمد وعبد الله، ثم ختم الحديث قائلا «والله المعين».

عندما دخلنا منزل السيد موسى لاحظنا وجود منزل تحت الانشاء فاستفسرنا من السيد موسى لمن هذا المنزل فقال هو لأحمد وقد تكفل رئيس مجلس النقباء السابق م.ليث شبيلات بتوسعته واتمام اعمال البناء، إلا انه وبعد سجنه توقفت النقابات المهنية عن دعم بناء المنزل.

واثناء حديثنا دخل عبدالله، الاخ الاصغر لاحمد، والذي كان في زيارة شقيقة وزيارة معارض بارز لم يكن مسموحاً بزيارته، مما جعل للزيارة وقع الحدث، السعيد بالنسبة لذلك المعارض، وقال لزائريه كنت اعرف ان اهل الدقامسة لن ينسوني.

الزيارة لاحمد كانت قصيرة جدا حوالي دقيقتين والحديث كان عن طريق الهاتف وبحضور عناصر الامن الوقائي، كما قال عبدالله مضيفا، انه وبعد الطلب من المسؤولين مددت الزيارة لمدة خمسة دقائق اخرى.

عبدالله قال انه وبقية اهله كما معظم المواطنين توقعوا ان يتم الافراج عن احمد خاصة بعد دفع دية الاسرائيليات وتوقعوا كذلك صدور عفو عام عن السجناء السياسيين يشمل به احمد، لا سيما بعد اطلاق سراح عميلي الموساد اللذين حاولا اغتيال مشعل الناطق باسم حركة حماس في عمان، وبعد ان انفرجت الاوضاع في العراق بتوقيع الاتفاق مع الامم المتحدة مشيرا الى ان العفو العام اصبح ضرورة ملحة.

في زيارتنا لم نستطع رؤية والدة احمد لانها كانت في الحج اما زوجته فكانت في زيارة اهلها في ام قيس، فتوجهنا اليها والحقيقة انها فاجأتنا برباطة جأشها وقوة عزيمتها ولكنها بالطبع كانت مفاجأة سارة، وكانت فاطمة زوجة احمد والبالغة من العمر خمسة وعشرين عاما، المبادرة بالحديث مرحبة بنا وباهتمامنا بالسؤال عن اخبارها واطفالها، خاصة بعد ان اوشكت الصحافة كما قالت فاطمة على نسيانهم.

وعندما سألنا عن احوالها قالت: اوضاعنا جيدة، نشكر الله، وكانت تضم اطفالها المحيطين بها وكأنهم يزودونها بقوة خاصة.

فاطمة قالت: ما فعله احمد امر مشرف يرفع الراس، وبانه رد على اهانة الاسرائيليات لدينه عندما هزئن من صلاته ومن كونه جنديا عربياً، عندما قلن ان بندقيته بلاستيكية.

وتساءلت فاطمة ما الذي فعله احمد مقارنة مع ما فعله الصهاينة بنا، فماذا فعل المصلون في الحرم الابراهيمي ليقتلوا وهم سجود؟! ومن جرؤ على محاسبة المجرمين على فعلتهم تلك وغيرها الكثير؟!

فاطمة قالت وبرغم توقع الجميع الافراج عن احمد وعن السجناء السياسيين الا انها شخصيا لم تتوقع ان يفرج عن زوجها لان ما فعله احمد، كما تقول، له علاقة مباشرة باسرائيل وحكومتنا حريصة على رضا اسرائيل.

اما كيف تتدبر فاطمة امورها، فقالت: ان اهل زوجها واهلها يساعدونها اضافة لمبلغ كان قد تبرع به اشخاص يثمنون عاليا ما فعله احمد اضافة الى مساعدات مادية كان يقدمها رئيس مجلس النقباء السابق م.شبيلات، الا انها انقطعت بسجنه، كما توقف دعم النقابات لبناء البيت، مشيرة الى ان سجن م.شبيلات والانتخابات هما سبب توقف دعم البناء وبان النقابات وعدت باتمام البناء.

فاطمة والتي تمارس دور الاب والام معاً قالت ان بعد احمد يبقى صعبا وموجعا، ولكنها لا تظهر المها كي لا يشعر اطفالها به، فهي كما تقول مصرة على مواجهة حياتها الجديدة، ولن تتخلى عن اطفالها وزوجها برغم تعليقات بعض الاقارب التي تقول بانها ما زالت صغيرة وجميلة وعليها ترك احمد لتقترن بسواه، مضيفة ان ست سنوات عاشتها مع احمد دون ان يسيء اليها مرة واحدة تدفعها للتمسك به اكثر.

الجنس الرابع

نفهم ان يدفع الرجال دماءهم فداء للموقف والمبدا، ونعتبر ذلك اقل الواجب، والتخلي عنه تخاذل وجبن.

وقد نستطيع أن نتفهم موقف اولئك الداعين إلى السير جنباً إلى جنب مع «الحيطان»، متاملين من الله الستر، ونحزن عليهم على حالهم التي دفعتهم اليه مجموعة من المخاوف، ونقدّر انهم يحملون قلوباً لا تملك إلاّ السقوط حتى أخمص القدمين، عند أوّل موقف، فلا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

أما ما لا نستطيع ان نستوعبه، فهو أن ينقلب الرجال، إلى جنس آخر، ليس ثانياً ولا حتى ثالثاً، عند أوّل إغراء، فيتركوا كل ما وقفوا للدفاع عنه، بل وينقلبون إلى موقع مهاجمته، والتشهير به، بادعاء أن الحق قد ظهر، وعادت الامور إلى مصائرها، والمياه إلى مجاريها.

حقاً، إنها مجارٍ هذه التي يسبحون بها، بعد أن نالوا شرف الموقف، فانقلبوا عنه إلى الاستجداء والمداهنة، بكل ما في الرياء والنفاق والمداهنة من شرف!!

والذي لا أستطيع ان ادركه، هو ذلك الثمن، الذي يقبل به أي رجل، مقابل لحظة يرى نفسه فيها وقد نبت له «ذيل» في مؤخرته، يهتز ابتهاجاً عند كل مناسبة تستدعي ذلك.

إنني واثق أن مثل هؤلاء لم يكونوا رجالاً قط، وإنما نمط بشري آخر، حاولوا عبثاً ان يخفوا ذيولهم، ولكنها تأبى إلاّ التمرد، والخروج للعيان. وما مواقفهم السابقة، والتي توهّمنا فيها الرجولة، إلاّ وسيلة، لبلوغ الفرصة المناسبة، للإعلان عن مواهبهم وكشف قدراتهم الإبداعية.

وإلاّ ... فمن يستطيع أن يبرر انقلاب إمام المسجد، على نفسه ودينه، ومسارعته للإعلان عن عصيان الله واستعداء أهله وانصاره، في سبيل مصافحة صهيوني؟!

ومن يستطيع أن يستوعب ما الذي يمكن أن يدفع فناناً، ادعى أنه خليفة لكل مناضلي العرب وشرفائهم من الفنانين الذين دفعوا دماءهم ثمناً للوحة، هي موقف بحد ذاتها، ليصبح العوبة في أيدي المرتزقة، ويتحول هو وكل نضالاته إلى مهرج، يسعد بأن يضحك الناس عليه، مقابل أحقر الأثمان في عرفنا، وأعلاها على مستواه؟!

وكيف يمكن لشاعر تغنّى بوطنه وحمل قضاياه، أن يتحول إلى مدّاح، يستجدي قريحته، ويستجديان سوية، بعد أن زال عهد المماليك، ولم يعد الشعر نفسه يطيق المدح موضوعاً له؟!

حقاً إنه جنس رابع هذا الذي يقبل أن يأكل بأي شيء، مخافة الجوع، في وقت تجوع فيه "الحرة"

ولا تاكل بـ ....

عبدالله ابو رمان

عشائر بني حسن تدعو لمؤتمر عشائري لمواجهة الاعتداء

مراكز القوى تحاول الاستيلاء على الواجهات العشائرية لاغراض الاثراء والتوطين

مشكلة الواجهات العشائرية ورغبة الحكومة في وضع يدها عليها عادت لتطفوا مرة اخرى على السطح ، لتضاف مشكلة جديدة الى جملة المشاكل التي يعاني منها ابناء العشائر في محافظة الزرقاء . الميثاق تابعت القضية فكانت اللقاءات التالية :

امر مرفوض

الشيخ غالب احمد سعود الزواهرة/ شيخ عشيرة الزواهرة بني حسن قال ان نية الحكومة وضع يدها على اراضي الواجهات فتلك الاراضي مقسمة بين العشائر منذ ١٩٤٠ وذلك مثبت في وثيقة موقعة من شيوخ العشائر وشهود اخرين مضيفا بان معسكرات الجيش في خو قائمة على اراضي الواجهات العشائرية وذلك الحال بالنسبة للمنطقة الحرة والجامعة الهاشمية الشيخ غالب قال ان القسم الذي اقامت عليه الحكومة مرافق عامة لن نطالب باستعادته ولكننا نطالب باعادة ما قامت الحكومة باستملاكه بحجة اقامة مرافق عامة في حين ان الغرض الحقيقي هو توزيع هذه الاراضي على المتنفذين.

نشتري (اراضينا)!

الزواهرة قال ان الحكومة ثمنت الدونم الواحد حاليا باربعة الاف دينار وتقول لنا اما ان تشتروا اراضيكم باربعة الاف للدونم الواحد واما ان نستملكها فباي قانون يتم هذا ؟

وعلى هذا الاساس استملكت الحكومة ٨٦٠ دونم من اراضي الزواهرة في منطقة حريبة بحجة انشاء مرافق عامة وكل ما فعلته بناء سجن بيرين ومدرسة واحدة

مضيفا ان وجهاء العشائر حاولوا حل هذه القضية وديا وللان لم تفلح الجهود ولذا نفكر برفع دعوى قضائية نطالب بها بحقوقنا المعتدى عليها .

السيد نواف شديفات احد وجهاء عشيرة الشديفات في محافظة الزرقاء وعضو المنظمة العربية لحقوق الانسان وعضو المؤتمر الشعبي لمقاومة التطبيع افاد ان مشكلة الواجهات العشائرية كانت السبب في اقالة حكومة السيد مضر بدران في سنة ١٩٨٤ حيث حاولت الحكومة انذاك وضع يدها على اراضي الواجهات العشائرية وقامت بطرد بعض اصحاب تلك الاراضي ، وردم منازلهم. وعلى اثر ذلك قامت عشائر بني حسن باغلاق شوارع الزرقاء المتجهة الى عمان، وحدثت مواجهات بين رجال الامن وعشائر بني حسن ، ولم تتمكن سلطات الامن من السيطرة على الوضع الامني وكادت ان تفتعل حربا اهلية وحدثت اصابات بكلا الطرفين مما حدا بالقوات المسلحة الاردنية للتدخل وتمكنت من السيطرة على الوضع وعالجت الامر بحنكة ودراية .

واضاف «ونحن الان في نفس المشكلة ونرجوا عدم تطورها حيث قامت قوات الامن بايعاز من المحافظ، والذي يتلقى التعليمات بدوره من وزير الداخلية بهدم منازل مازالت تحت الانشاء وقد تجمع وجهاء بني حسن وراجعوا المحافظ وتدخل النائب حمود الخلايلة وقام بمراجعة المحافظ ووزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء السيد عبد الله النسور وننتظر حل القضية.

مؤتمر شعبي

ويطرح ابناء عشائر بني حسن حاليا الدعوة الى اجتماع عام خلال هذا الشهر لبحث سبل مقاومة نية الحكومة الاستيلاء على اراضيهم بشتى الوسائل التي تحفظ لهم حقوقهم من بعض المتنفذين في الحكومة والذين يسعون لسلبهم اياها فالاساس ان هذه الاراضي ملك للعشائر التي تقطن المنطقة منذ القدم وهناك ما يبين ذلك من وثائق مسجلة بدائرة الاراضي .

حظيت بنصيب الاسد

شديفات قال ان القضايا التي تعاني منها محافظة الزرقاء لها خصوصية مرتبطة بتركيبتها السكانية فالزرقاء حظيت بنصيب الاسد من المهجرين والنازحين مما انعكس سلبا على السكان الاصليين فزادت نسبة البطالة بين ابناء العشائر، كما ان استقبال النازحين والمهاجرين الجدد خلق مشكلات بيئية وذلك نتيجة لاختلال معادلة الارض والسكان، فعدد سكان الزرقاء الحالين والبالغ حوالي المليون، يفوق باضعاف قدرتها الاستيعابية ، اضافة الى ان هذا العدد بحاجة الى خدمات بنية تحتية ، فنحن نعاني حاليا من مكرهة صحية وهي محطة الخربة السمرا والتي سببت تلوث التربة والهواء، وحولت سيل الزرقاء الى سيل مجاري وحولت حياة اهل الزرقاء الى جحيم لا يطاق الميثاق كانت قد تناولت هذه القضية بالتفصيل في احد اعدادها السابقة.

مضيفا ان وزارة المياه عندما ارادت حل المشكلة بعد تفاقمها فكانت كمن ينوي معالجة الخطا بخطا اكبر فخططت لبناء محطة تنقية جديدة محطة تنقية عدوان او سيل الزرقاء على اراضي بني حسن في قرى بني هاشم في الزرقاء لتستقبل المياه العادمة القادمة من عمان ، جرش والمفرق الامر الذي سيتسبب في هجرة اهالي الزرقاء ان اقيمت هذه المحطة .

شكلت لمتابعة

شديفات قال ان لجنة شكلت لمتابعة القضية من رؤساء البلديات وبعض المهتمين بالبيئة حيث قامت هذه اللجنة بمراجعة وزارة المياه ووزارة التخطيط والبلديات وقد شكلت لجان حكومية اشترك فيها مندوبون من هيئات ومنظمات دولية تعني بالبيئة ومن ضمنهم حزب السلام الاخضر الالماني هذا الحزب الذي الغى بضغطة الدعم الالماني الذي كان مقررا لانشاء المحطة الجديدة والمقدر بـ ٥٠ مليون مارك.

٢٠ مليونا

واضاف شديفات ان الحكومة اعلنت عزمها على اخذ قرض من صندوق النقد العربي بقيمة ٢٠ مليون دينار لتمويل انشاء المحطة الجديدة قائلا ان عشائر بني حسن ستقوم بالاشتراك مع بقية المواطنين بالاضافة الى حزب السلام الاخضر باقامة معسكر احتجاجي على نفس الارض المنوي اقامة المحطة الجديدة عليها وقد استغرب شديفات اصرار الحكومة على اقامة المحطة على اراضي بني حسن بالذات وسط تجمع سكاني كبير علما بان هناك بدائل مثل اقامة المحطة في الصحراء الشرقية فلماذا ترفض الحكومة ذلك !

الوطن البديل

شديفات ربط التخطيط لحل مشكلة محطة تنقية الخربة السمرا بالمحطة الاخرى الاكبر بنفس الابعاد التي ربط فيها محاولات التوسع في البنية التحتية لتكون هناك قدرة على تقديم الخدمات ليس للسكان الحالين فقط بل لاعداد مضاعفة ، هذه الامور التي تتوكل بها وزارة التخطيط وتندرج تحت حزمة الامان الاجتماعي، تهدف الى استقبال المزيد من النازحين والمهاجرين الجدد ومعنى اوضح تهدف الى اقامة الوطن البديل وهذا ما يشير اليه تقرير صادر عن شركة مرتزل الامريكية بقوله ان سكان الزرقاء سيصبحوا سنة ٢٠٠٠ حوالي ٤-٥ مليون نسمة ، وتساءل شديفات كيف سيصبح الوضع انذاك؟، فالزرقاء بوضعها الحالي تعيش ماساة فكيف بعد ان يصبح عدد السكان ٤-٥ مليون !

ومن اين سياتوا بالماء ؟ فنحن حاليا نعاني من شح المياه التي بالكاد تزود الزرقاء يومين في الاسبوع !

لهذا تعارض

واضاف من هنا تاتي معارضتنا لاتفاقية السلام ومقاومتنا للتطبيع لانهما يستهدفان الوجود الاردني، ويهددان مستقبل الاردنيين فعند الحديث عن حق العودة او التعويض وليس كما تقول الحكومة حق العودة او التعويض .. يجب ان يكون معلوما ان التعويض يجب ان يطال الاردنيين ايضا لان المهجرين والنازحين شاركوا الاردنيين في الحصول على الوظائف وبقية الخدمات .

نمتلك الاراضي قبل تشكيل الامارة

الشيخ علي احمد سعود الزواهرة عضو المنظمة العربية لحقوق الانسان، والمؤتمر الشعبي لمقاومة التطبيع رئيس اللجان الشعبية لمقاومة التطبيع في الزرقاء تحدث للميثاق حول قضية الواجهات العشائرية فقال «ان هذه الاراضي تمتلكها العشائر الموجودة في المنطقة وقسمت بينها من ايام الدولة العثمانية قبل اعلان امارة شرق الاردن بل وقبل ان تشكل الحكومات وهناك وثيقة موقعة من قبل عشائر العموش والخلايلة والزواهرة مؤرخة في ١٩٤٠/١/١٤ وموقع عليها من قبل قائد مقاطعة المفرق انذاك صقر عيطان . ومن وجهاء العشائر انذاك ، وهذا ينطبق على الواجهات العشائرية في غرب مدينة الزرقاء ، وعلى الواجهات العشائرية شرقها والممتدة حتى الازرق

الشيخ علي قال ان العشائر المتنفذة مثل عشائر بني صخر، تمتلك واجهات عشائرية تمتد حتى حدود السعودية في حين ان عشائر بني حسن خاصة في الزرقاء محرومون من واجهتهم العشائرية ، حيث ذهبت الى مالا نعلم .

فنحن نريد ان تقوم الحكومة بتحديد الاراضي التي استملكتها الحكومة لحساب الجيش، وتعيد ما تبقى لاصحابة حتى لا يتكرر ما حدث في الاغوار وحتى لا توزع تلك الاراضي كغنائم على المتنفذين .

بطالة

الشيخ علي تحدث عما تعانية عشائر بني حسن خاصة واهالي الزرقاء عامة فقال ان البطالة اصبحت افه تهدد مستقبلنا فتزايدت حالات السرقة والشعوذة والتسول والجهل وجرائم الشرف الخ واضاف ان بلدية الزرقاء لا تستوعب موظفين اكثر مما لديها ، اما المصانع الموجودة فالتوظيف بها حسب الوساطة والمحسوبية كما هو الحال في الدوائر الحكومية .

كارثة بيئية

الزواهرة تحدث عن المشكلات البيئية فقال ان هناك كارثة وهي سيل الزرقاء الذي تحول لسيل مجاري بفعل محطة الخربة السمرا وهي ايضا مكرهة صحية اضافة الى دور مصفاة البترول في زيادة نسبة التلوث مضيفا بان هناك نية لاستحداث محطة تنقية في سيل الزرقاء وبالتحديد حول قرى بني هاشم ليكون استيعابها ستة اضعاف استيعاب محطة الخربة السمرا الحالية واتساءل هنا كيف سيصبح العيش حينئذ؟

مضيفا هل يعلم الاشخاص الذين خططوا لانشاء هذه المحطة ان هناك بشرا في هذه المنطقة ام انهم قادمون من المريخ !؟ ام ان في الامر حسابات اخرى تتعلق بالتوسع في انشاء البنى التحتية لتخدم اغراض استيعاب قادمين جدد تحقيقا لمقولة «الوطن البديل »» مضيفا وهل هذا يتوافق مع مقولة الاردنيون من شتى المنابت والاصول الم يكن على هذه الارض اردنيون منذ الاف السنين الزواهرة قال انه خبر جد السادس في الارض التي تملكها عشيرته، فاذا ربطنا مدة وجودنا على هذه الارض فقط بوجود الجد السادس فذلك يعني اننا موجودون منذ خمسمائة عام .

تستهدف الوجود الاردني

ومن هنا جاءت معارضة التطبيع وعدم القبول باتفاقية السلام كونها تستهدف الوجود الاردني وتحت شعار التطبيع يتم تسليم البلد لاسرائيل بدءا ببيع الشركات والمؤسسات الوطنية لليهود تحت شعار الخصخصة فمعروف ان راسمال عالميا يسيطر عليه اليهود اضافة الى جعل الاردن مسرحا لعمليات الموساد المشبوهة ومحاولة اغتيال مشعل خير دليل .

والادهى من ذلك كما يقول الزواهرة ان التطبيع اصبح قسريا على انه وفي حكومة الشريف زيد بن شاكر قال عندما التقى اعضاء لجنة مقاومة التطبيع «من يريد ان يطبع فليطبع ومن لا يريد فهو حر في موقفه» فكيف اصبح التطبيع قسريا وباي عرف؟ .

الزواهرة قال انه شارك في حرب ٦٧ واصيب واسر وشارك في حرب ٧٣ فكيف يطلب منه ومن الاخرين ان ياخذ الاسرائيلين بالاحضان ؟

نشك في انتماء دعاة الخصخصة

وحول قرار الحكومة الاخير باعطاء الاولوية للمواطنين الاردنين في شراء اسهم شركة الفوسفات والاسمنت تساءل الزواهرة من هو الاردني الذي يستطيع شراء اسهم في شركة الفوسفات او غيرها ؟ لتاتي الحكومة لتبيعها للاردنيين الذين لا يجدون قوت يومهم ولا يملكون الا ثمن ما يستر اجسادهم فهل تعلم الحكومة ان هناك من اتخذ من المغارات منزلا؟

اما دعاة الخصخصة والذين نشك في انتمائهم والذين يسعون لبيع الشركات والمؤسسات الوطنية لتصبح في ايدي الاسرائيليين مستفيدون ايضا شخصيا فهناك عمليات سمسرة وتوزيع مغانم فاصحاب الملايين من اين لهم هذه الملايين فليجيبو عن هذا السؤال ان كانوا يملكون الاجابة .

نحن أصحاب هذه الاراضي منذ خمسمئة عام على الاقل

مخطط انشاء محطة التنقية الجديدة في اراضي بني حسن

في الذكرى التاسعة لهبة نيسان :

أغنياء ... وفقراء

كتب: أمجد مدانات

في مطلع عام ١٩٨٩، دبّ الرعب والاندهاش والاستغراب في اوصال الشعب الاردني، عندما شاهد دولة الاستقرار والرفاه (الزائف) تترنح امام ضربات صندوق النقد الدولي. لم يتنبه الاردنيون الذين تم عزلهم (بسبب الاحكام العرفية) لحجب المعلومات والمعرفة عنهم، الى ان البحبوحة الزائفة التي يعيشون فيها للاعوام ١٩٧٥ – ١٩٨٨ هي نتائج ديون عشوائية (اعترف نائب رئيس الوزراء حينها امام مجلس النواب الحادي عشر انهم لم يكونوا كحكومة!! يعلمون عن حجم المديونية لان وزارة التخطيط كانت هي التي تقترض باسم الوزارات والدوائر الاخرى دون جمع او طرح – نائب رئيس الوزراء هو ذوقان الهنداوي–) وهذه الديون سوف يتم نقلها الى كاهل الشعب الاردني – ضرائب وارتفاع اسعار وبطالة –. لقد كانت التوجيه المعنوي والاعلام غير المكتوب او المرئي يظهر الدولة الاردنية بانها (مدللة الغرب) الذي يضمنها لتكون الدولة الاكثر استقرارا وازدهارا في المنطقة، وان عرب النفط يدعمونها لتعزيز صمودها على اطول خط للمجابهة، فانهالت المليارات (١٠ مليارات دينار عداً ونقداً من مؤتمر قمة بغداد عام ١٩٧٨)، وغيرها من المليارات الجانبية ومليارات المديونية التي تكشفت لاحقا، لقد تمّ استهلاك كل تلك الاموال ليس لبناء تنموي قوي وليس لبناء جبهه قوية واقتصاد قوي، بل لتوزيعها على مشاريع بنية تحتية هشّة ومصانع اعلنت افلاسها ولم تنتج شيئا ومدخرات باسماء اشخاص وتجار في بنوك سويسرا والنمسا والغرب سألني احدهم في سواقة سؤالا ظنّ انه محير وفهمت منه انه إقرار. كيف يمكن اعادة اموال اصبحت في بنوك سويسرا والنمسا؟! وكان ذلك في شهر نيسان ١٩٨٩، فقلت له ان الجواب بسيط، ولكنه يتطلب اولا وجود ارادة وطنية سياسية لمن يملك القرار باعادة الاموال المنهوبة، وقلت له ان ما جرى في الفلبين وايران مثل ساطع على ذلك.....)

لقد جاء سؤاله ذاك رداً على مطالبتنا بمحاسبة المسؤولين عن المديونية وعن الفساد وان الحل هو اعادة اموال الاردنيين الى الخزينة بعد محاكمة عادلة لمن اوصلوا البلاد والعباد الى هذا الحال ..

واليوم ونحن على ابواب الذكرى التاسعة لهبّة نيسان الشعبية الحضارية، اين اصبحنا وما هي الدروس التي تعلمها اصحاب القرار، وهل تفيد الذكرى، وهل من طريقة لكي يفهموا ان الاندفاع الاعمى لتحقيق المكاسب من المناصب سوف يجعل الامور اكثر وخامة على الجميع. .

فما زال المنصب الحكومي طريقا سالكاً نحو تحقيق المكاسب والاثراء غير المشروع، فقد سألني احدهم مستنكراً: من اين لشاب عمره لم يتجاوز الرابعة والعشرين عاماً ان يمتلك شركة براسمال عشرة ملايين دينار – في قطاع الاتصالات – لولا ضمانة رسمية بذلك؟! وهل صحيح انه ينطبق عليه وعلى امثاله من ابناء المسؤولين الحكوميين السابقين واللاحقين القول بان «الله يرزق من يشاء بغير حساب»؟!. إن الذي يجري في بلدنا لا تقرّه اي من الشرائع السماوية، ولماذا يرزقون هم وحدهم بدون حساب؟! ولماذا ينتشر الفقر ايضا في بلدنا دون حساب او حسيب؟!

– لقد قالوا وما زالوا يقولون ان بلدنا قليل الموارد (ورغم عدم قناعتي بذلك)، لكن من فمهم ادينهم، فاذا كان بلدنا قليل الموارد، فمن اين لهم ان يهربوا خارج الحدود ستة مليارات دينار تعادل تقريباً مديونية البلاد؟!

– لم يكن في الاردن فقر كما هو الان – كما لم يكن فيه غنى كما هو الان – صحيح ان الاردن كله كان في مستوى اقتصادي متواضع، لكن كيف اصبح فيه ما هو قائم الان، اموال تعدّ بالمليارات مهاجرة وديون تعد بنفس المليارات مطلوب من الشعب سدادها، لماذا يجري رفع الدعم من جهة وتخفيف الضرائب على رؤوس الاموال من جهة اخرى؟!

(للفقراء حق في مال الاغنياء)، هذه عبارة سمعتها كثيرا ولكن اكثر من قالها هو الرئيس العراقي في معرض حديثه عن الحالة التي تسود في الوطن العربي، وطغى قلة من الاغنياء، يهربون اموالهم للخارج وكثرة ساحقة من الفقراء الذين يزدادون فقراً يوما بعد يوم، نعم، للفقراء حق اكيد في مال الاغنياء العرب، الذين لم يبنوا صناعة يفتنوا منها، ولم ينشئوا زراعة يغتنوا منها بل مديونية تنوء بحمل اعبائها الاجيال القادمة.

في الذكرى التاسعة لهبّة نيسان ١٩٨٩، ما زال المرض قائما وما زال الخلل يقود لنفس النتائج، ولا بد من ايقاف ذلك، بالعقل والاستفادة من الذكرى ... فمقوله «ان الله يرزق من يشاء بغير حساب» لا تنطبق على الذين بنوا ارصدتهم الضخمة على حساب رزق الاردنيين، ولن يفيد احد استبدال الاحكام العرفية بالديمقراطية المدجنة بوسائل القمع مهما نجحت في بلاد اخرى.

مأساة طفل اسمه ياسين

– ياسين طفل من الجنوب، من الكرك، قُدّر له ان يدفع حياته ثمناً للعبة كرة قدم من النوع الشعبي الذي يمثل فيه دور البطولة «طبة شرطان» واقدام واقدام عارية الا من غبار حاراتنا .

– ياسين لم يكن يدري ان مجرد مشاركته في هذه اللعبة الطفولية سينتج عنه سيناريو لمسلسل كتب حلقاته احد الاطباء، بعد ان اشترى شهادته من احدى دول الشرق الاوروبي عندما كانت الشهادات تفصل حسب مقدار «الدولارات» المدفوعة ليدخل بعدها – وبالواسطة يتعين طبيبا في احد المستشفيات في الكرك لممارسة الدور المعروف لكثير من اطبائنا وهو (تعلم البيطرة على حمير النوره».

– ياسين أصيب بكسر بسيط في رجله، كسر من النوع الذي يعالجه (ابن معسف) او (كريم النوايسة) في لحظات ليعود الكسير بعدها انشط من غزال.

– وقصة هذا الطفل بدأت عندما حمله اهله الى قسم الطوارىء في احدى المستشفيات الحكومية في الكرك، وما ان رأى الطبيب المناوب حالته حتى حشد كل عبقريته الفذة في الطب لتخرج ساق ياسين بعد ذلك مثلة بحوالي خمسة كيلوغرامات من «الجبص».

– نقل ياسين الى بيته وبعد ثلاثة اسابيع اعيد الى نفس المستشفى ونفس الطبيب ليفكّ عنه «الجبص» وما هي الا خطوة واحدة حتى صرخ ياسين واغمي عليه وأخذ الى غرفة الاشعة ليكتشف هذا الطبيب العبقري، متاخرا، ان هناك كسرا اخر تحت الكسر الاول بحوالي عشرة سنتمترات وان (الغرغرينا) بدأت تدبّ في عظام ياسين، فحوله فورا الى مستشفى اخر في عمان ليتخلص من وزره.

– وفي تلك المستشفى بدات الحلقة الثانية من المسلسل عندما فحص احد الاطباء المتخصصين ساق ياسين، فقرر بترها فورا بعد ان استعلم عن الطبيب الذي عالج هذه الحالة من البداية وتم تحديد موعد البتر.

– ولكن، وفي الموعد المحدد للبتر، غاب الطبيب بسبب العمرة مدة خمسة عشر يوما ولم يتم البتر نظرا لان الطبيب الذي حُدد للقيام بعملية البتر رفض اجراء هذه العملية بسبب عدم متابعته لحالة المريض منذ البداية.

– وجاء الطبيب المشرف بعد اداء العمرة ليكتشف ان «الغرغرينا» وصلت الى منطقة الركبة فقرر اجراء البتر فوق الركبة بحوالي (١٠سم) وهكذا كان.

– ولما افاق ياسين، تحسس ساقه فلم يجدها، ولكنه وجد حوله وجوها لا يعرفها تحمد الله على «سلامته» وعلى «نجاح» العملية وأرسل الطفل الضحية الى بيته في الكرك.

– وهنا بدات الحلقة الثالثة من المسلسل حين نُقل ياسين مرة اخرى الى مستشفى ... في الكرك وبعد يومين كاملين من مكوثه في المستشفى دون فحص وهو يصيح من الالم الذي انتقل من ساقه المبتورة الى راسه قرر الطبيب نقله فورا الى المستشفى السابق مرة اخرى، وهناك اكتشف الاطباء ان ياسين أصيب بالسرطان في ساقه ووصلت الخلايا السرطانية الى دماغه، وهو الان ينتظر شبح الموت في تلك المستشفى.

– من قتل ياسين؟! الطبيب الذي عالجه في مستشفى الكرك؟! ام الطبيب الذي رفض اجراء عملية البتر؟! ام الاهمال من ممرضات لا يحسن سوى «طق الحنك» و«فلانة بتحب» و«فلانة مخطوبة»؟! وهل نحن في وطن الانسان فيه حقاً أغلى ما نملك؟! اسئلة لا بد من الاجابة عليها حتى لا يتكرر مسلسل ياسين محمد عبدالغني المواجدة.

معان تواصل تحركاتها

مسيرة حاشدة، بدون «مندسين»

المعانية : أين مصداقية وزير الاعلام؟!

الميثاق - تقرير معان

شهدت مدينة معان يوم الاحد ١٩٩٨/٤/٥ مسيرة شعبية حاشدة جاءت عفوية من الذين خرجوا لاستقبال المفرج عنهم ، وطافت تلك المسيرة الحاشدة شوارع المدينة التي منعت المسيرة السلمية الاولى من الطواف فيها، وقد اطلق مئات من المواطنين الاعيرة النارية في الهواء تعبيرا عن تضامنهم مع المعتقلين وابتهاجا بالمفرج عنهم ومن المفارقات ان المسيرة لم يظهر فيها اي مندس ولم يقتل فيها احد احدا رغم اطلاق النار الكثيف ! فاين ذهب المندس يا ترى؟

تاجيل عقد المؤتمر الشعبي

بعد المسيرة الحاشدة التي لم يظهر فيها اي مندس اجتمع عدد كبير من ابناء مدينة معان في منزل السيد اكرم كريشان وبعد مداولات اعلن المجتمعون بالاجماع تاجيل عقد المؤتمر الشعبي العام وكذلك اعلنوا تاجيل اجتماع اللجنة التحضيرية لذلك المؤتمر .

المؤتمر الشعبي تاجل ولم يلغ

وقد صرح الناطق المفوض باسم اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي العام السيد عادل المحاميد بان استجابة جماهير معان لنواب الشعب بتاجيل المؤتمر الشعبي لا تعني باي حال من الاحوال الغاء المؤتمر او التراجع عن طروحاته المحقة ، ولكن هذه الاستجابة جاءت دليلا واضحا على عقلانية ابناء معان وبعد نظر قياداتهم الملتحمة بهم .

وفي السياق نفسه علق ابناء معان الاجتماعات الدورية التي استمرت في الفترة السابقة في دواوين العشائر الى ما بعد العيد وذلك كمؤشر لابداء حسن النية بعد ما استجابت الحكومة جزئيا لبعض مطالب ابناء معان

التراجع عن الخطا فضيلة

وقد اكد عضو المكتب السياسي لحزب الارض العربية الزميل سمير ابو هلالة ان الاستجابة الجزئية للمطالب الشعبية في معان من قبل الحكومة تمثل بداية مقبولة ومرضية ان تبعتها خطوات لاحقة اكثر ايجابية ، وان هذه الاستجابة مؤشر مهم من مؤشرات التراجع الحكومي عن الخطا الكبير الذي ارتكبته بحق معان واهل معان .

ويشجع السيد ابو هلالة على التعامل بجدية مع هذه التراجعات الحكومية من اجل الوصول الى التراجع الكامل للوصول الى الاعتراف الواضح والصريح بكل الاخطاء والخطايا التي ارتكبتها هذه الحكومة بحق معان واهل معان .

ارتفاع الروح المعنوية في المدينة الابية

وفي الاجتماع الحاشد الذي تبع المسيرة القى رئيس نادي معان الثقافي السيد محمود ابو رخية كلمة جامعة باسم المفرج عنهم اشار فيها بكل اعتزاز الى الروح المعنوية العالية التي يتحلى بها ابناء معان الذين عانوا من الحصار والذين عانوا من الاعتقال والفرج عنهم والذين ما زالوا في المعتقل . وهذه الروح المعنوية العالية سببها ان الاحداث جعلت اهل معان الابية كتلة بشرية واحدة لا تقبل الاختراق .

وقد شكر السيد محمود ابو رخية كل الجماهير الاردنية ومؤسسات المجتمع المدني التي ساندت وما زالت تساند معان فيما حصل فيها وفيما تتعرض له من مضايقات .

تصريحات وزير الاعلام تنافي الواقع

وفي ذلك الاجتماع الحاشد تعرضت الحكومة لسيل من الانتقادات الشديدة ولا سيما ما يتصل بالتصريحات التي تناقض الواقع والتي ادلى بها وزير الاعلام الدكتور عبد الله النسور .

وقد فند رئيس غرفة تجارة وصناعة معان السيد عبد الله صلاح ما جاء في تصريحات نائب رئيس الوزراء وزير الاعلام من ان مصنع الفلاتر تعود ملكيته لشركة خاصة بينما الواقع خلاف ذلك فالحكومة والصناديق التي تتصرف بها وتشرف عليها تملك ٨٨٪ من راسمال الشركة من خلال الشركة الاردنية للاستثمار وتنمية الجنوب ومؤسسة الضمان الاجتماعي وبنك الانماء الصناعي والقيادة العامة للقوات المسلحة .

ويؤكد السيد عبد الله صلاح ان الشركة اصلا اسست لكي يكون مصنعها في مدينة معان لكن الرغبة الحكومية هي التي ارادت حرمان معان من مصنع مهم كهذا المصنع ، واهل معان عندما يطالبون بالمصنع لا يريدون حرمان اي جزء من الوطن من المشاريع المهمة لكنهم يريدون الا يغمطوا حقهم مثل كل مرة.

اين مصداقية وزير الاعلام

وتناول رئيس غرفة تجارة وصناعة معان ما صرح به وزير الاعلام حول صيانة الابار واقامة السدود في المدينة وحولها، وقال بان واقع الحال شاهد فصل على عدم مصداقية الوزير فالماء يذهب هدرا والسدود الترابية وغيرها حبر على ورق .

المدينة الصناعية كلام مصطنع

اما بشان المدينة الصناعية فقد استغرب السيد صلاح تاكيد الوزير البدء في اقامة المدينة الصناعية في المدينة رغم ان كل المؤشرات تقول غير ذلك .

فاهل معان يتساءلون عن الاسباب التي جعلت وزير الاعلام المحترم يطلق هذه التصريحات التي تنافي الواقع، ام ان الاعلام شيء والواقع المعاش شيء اخر؟ فسلطة النص الاعلامي أهم عند وزير الاعلام وحكومته من سلطة الواقع المتردي.

الميثاق وثيقة من وثائق المدينة

وفي الاجتماع المذكور قرا السيد ابراهيم الحميدي العدد السابق من صحيفة الميثاق وخاصة ما تعلق بقضية معان، وقد اعتبر ذلك العدد وثيقة من وثائق المدينة التي ستقرا في المؤتمر الشعبي العام عند انعقاده . وهذه ثقة شعبية كبيرة بصحيفة الميثاق لم تات من فراغ وانما جاءت لاهتمامها بنبض الشارع الاردني وهمومه الحقيقية.

مدينة الاباء عيدها عزاء

وقد صدق اهل معان وعدهم بالا يتضمن عيدهم اي مظهر من مظاهر الاحتفال وذلك بمشاركتهم لاهل الشهيد عزاءهم وهم جميعا اهل للشهيد وقد التزمت كل قيادات معان بذلك من شيوخ الى وجهاء الى وزراء الى نواب سابقين وحاليين، وكان لذلك ابلغ الاثر في نفوس اهل الشهيد الذين فقدوا واحدا من ال الكاتب وربحوا كل معان . وقد تضامن اهل المدينة ولا سيما وجهاؤها مع اهل المعتقلين الباقين .

الافراج الناقص يساوي عدم الافراج

فكما انه من قتل نفسا واحدة فكانما قتل الناس جميعا وهذا ما احست به معان بعد قتل الشهيد محمد الكاتب، فان من ابقى على اعتقال واحد او اثنين من المعتقلين فكانما ابقى على كل المدينة معتقلة. فابناءالمدينة الذين احسوا بالقتل بعدما قتل محمد الكاتب واحسوا جميعا بالاعتقال مع كل معتقل منهم ، يصرون على الافراج عن السيد محمد الشلبي « ابو سياف» وعن السيد عمر محمود الرداد الذين استثنيا من عملية الافراج التي تضمنت ستة عشر معتقلا من ابناء المدينة . وبما ان الافراج الناقص يساوي عدم الافراج فان المدينة ستبقى معتقلة مادام فيها معتقل واحد.

التقاعد العقابي سياسة معيبة

وضمن تفاعلات قضية معان عقد في منزل السيد محمد محي الدين كريشان اجتماع حاشد تضامنا معه بعد احالته على التقاعد، معتبرين ان هذه الاحالة كيدية وهي جزء من سلسلة من الاجراءات العقابية المتخذة بحق المدينة واهلها.

وقد رفض المجتمعون اقتراح تشكيل وفد لمقابلة رئيس الوزراء لمناقشة موضوع احالة المذكور على التقاعد ، واصر عدد كبير من اهالي معان ولا سيما ابناء عشيرة السيد محمد محي الدين على ان قضية معان متكاملة لا تقبل تجزئتها وانهم يرفضون الالتفاف عليها تحت اي غطاء حتى لو كان الانتصار لاحد ابنائها، مؤكدين ان الدفاع عن اي من ابناء معان لا ياتي الا في اطار الدفاع عن معان واهل معان وان اي وفد مفتعل لن يعبر عن وجهة نظرهم ، واكد النائب نايف كريشان رفضه لفكرة الوفد من اساسها .

حزب الارض العربية يزور معان

كما زار وفد قيادة حزب الارض العربية مدينة معان وقد تضمن الوفد بالاضافة للنائب محمد العوران امين عام الحزب كلا من رئيس المجلس الاعلى للحزب راشد مطاع والسيد خالد سمارة والسيد محمد ابو عيطة ، وقد التقى الوفد بعدد من وجهاء وشيوخ المدينة وكذلك اسرة الشهيد محمد الكاتب واطلعوا على اوضاع المدينة واكدوا تضامنهم مع المدينة واهلها.

التحركات الشعبية مستمرة

وقد اعلنت لجنة المتابعة المصغرة انها بصدد القيام بمجموعة من التحركات الجماهيرية والتي ستبدأ باجتماع موسع في منزل الشيخ رسمي ابو رخية يوم الثلاثاء ١٩٩٨/٤/١٣، وفي يوم الاحد ٩٨/٥/١٩ سيكون الاجتماع الثالث في بيت المعتقل الثاني عمر الرداد . هذه الاجتماعات ستتم ان شاءالله ان لم تفرج الحكومة عن المعتقلين وان لم تعلن نتائج التحقيقات بشان جريمة قتل الشهيد محمد الكاتب حسب الوعود الرسمية .

فقتل واحد هو قتل الناس جميعا والابقاء على اعتقال واحد هو اعتقال لكل المدينة

كبراء معان حقا كبراء

معان : عظام رقبة الوطن !

كتب د.سليمان الطراونة

معان معين الرجال واخوات الرجال اصابها ما اصاب الكرك والطفيلة مؤخرا واربد والرمثا وغيرها من مدن المملكة سابقا عندما اضطرت هذه المدن لان تقول «لا» بالفم المليان بشكل جماعي لكل الحكومات التي تمرست قمع ارادتنا وقمع ابسط مظاهر رغبتنا في التعبير البسيط عن رفضنا لكافة اشكال الظلم الداخلية والخارجية . وكل المدن الاردنية ولا سيما الجنوبية قالت «لا» في لحظة ما لظلم ما ، لكن بعد الاحداث التي تجسد هذه ال«لا» الكبيرة وتتبعها تحج القيادات المتأسنة لتلك المدن والمناطق للتبرؤ مما حصل ومن ثم للتبرؤ من المواطنين الاوطان التي اوصلتهم الى عمان!

قصة معان لا بد من كتابتها

لكن ما حصل في معان يحتاج الى دراسة مستفيضة . اجدر الناس بالقيام بها الاحرار من ابناء معان وكل ابناء معان احرار، لذا فانني اهيب بهم ان يقوموا بها بمشاركة محبي معان ، ولتكن دراسة علمية مدققة وشاملة لكل الامور التي تميزت بها احداث معان هذه المرة ، ولكل الامور التي تبعت هذه الاحداث .

كبراء معان لم ينسلخوا عن معان

واهم الامور التي تبعت الاحداث انه بخلاف ما حصل في المدن الاردنية الاخرى فان معان في هذه المرة تحولت الى كتلة متراصة لا تخترقها كل وسائل الترهيب والترغيب ، فوجدنا كبراءها الكبار حقا يعكسون نبض الشارع بكل امانة وجراة ، ولا يخشى اي منهم على المكاسب التي حققها او التي يمكن ان يحققها فيما لو بقي متوافقا مع الخطوط التي تضعها الحكومات المتتابعة كشروط اولية للولاء ومن ثم للمكاسب التي تنسكب على الموالين ولاء مزيفا، لان كل من يوالي لقاء ثمن ، فولاؤه مزيف جدا وهذه حقيقة يجب تاكيدها لكي نحد من نشاط القائمين على وكالات بيع وشراء الولاء المساهمة غير المحدودة.

كبراء معان ناقضوا كبراء المدن الاخرى الذين تخلوا عن مدنهم

وكما ان الضد يظهر حسنه الضد فان التحام كبراء معان مع اهل معان وشارع معان وجراح معان يقابله بيع كبراء مدن اردنية اخرى لمدنهم بعد احداث مماثلة عندما وجدنا كبار المناصب من صغار النفوس يتسابقون على التحريض المريض على مواطنهم الاصلية التي لولاها ما كان لهم ان يصبحوا كبارا . فنجد احدهم يتشدق بالدعوة الى تطبيق حكم الاسلام على المفسدين، معتبرا ابناء وطنه ومحافظته الذين اخرجهم عنف الحكومة عن طورهم فردوا على العنف الحكومي المرفوض بعنف مضاد مرفوض ايضا مما فاقم الامر واعطى لتلك الحكومة المتربصة المبرر الاكيد لان تضرب بيد من حديد، فاصبحت سلطانه العنف بلا منازع . وبدلا من ان يلتف كبار تلك المدن مع اخوتهم كما يفعل كبراء معان الان وجدناهم يلتفون على اخوتهم ويتظاهرون انهم اكثر حكومية من الحكومة نفسها فيطلبون ايقاع اشد العقوبة بمن اضطروا للعنف من ابناء مواطنهم ردا على عنف الحكومة المبرمج . نحن حتما لا نبرر العنف بل ندينة بشدة سواء الشعبي او الحكومي ، لكن عنف الحكومة المبرمج مدان اكثر من عنف الشعب العفوي ، وكلاهما يحاصر الديمقراطية في الزاوية . وكبارنا الذين طالبوا بايقاع اشد العقوبات بنا هم اهم اركان العنف في هذا الوطن المعنف اهله!

المدن الطرفية تتحول الى المعارضة .. لماذا ؟

اما كبراء معان فامرهم مشرف جدا ، لكنه يؤدي بنا سياسيا لان نتلمس تطورا غير مسبوق في شكل وتوجهات المعارضة الأردنية ولا سيما في جانبها الشعبي. فالمدن الاردنية الطرفية تتجاوز دور الاحزاب والنقابات وكل مؤسسات المجتمع المدني وتتحول الى كتل متراصة من المعارضة القوية . والمثال الطازج الان قيادات معان الرسمية والشعبية التي اصبحت جزءا من نبض الشارع، فلا يدري المراقب المهتم من الذي يشكل الحدث والتوجه ، اي من يقود من ؟ ويبدو ان الهم المشترك جعل كبار معان لا تهمهم القيادة بقدر اهتمامهم بمعاناة معان .

فليس من عجب ان ترى ان الاعيان والشيوخ والوزراء والنواب السابقون والحاليون والبلدية والملتقى الثقافي وغيره من الاندية في معان قد التحموا مع هموم مدينتهم وتحولوا الى نبضها الحي رغم كل الضغوطات التي تهد الجبال ولم يخرج عن اجماعهم المبارك احد منهم ولم يصبحوا كنظرائهم في المرات السابقة في مدن اردنية مماثلة من الذين اداروا ظهورهم لوطنهم الاصلي والوا على انفسهم الا التحريض المريض على مواطنيهم من اجل ان يقال عنهم انهم موالون كبار بحجم استثماراتهم الكبيرة والفرق بين الولاء والنفاق كبير جدا، لكن حكوماتنا تمرست مكافأة المنافقين ومعاقبة الصادقين رغم ان المنافقين يعرفون بسيماهم .

ونقائض كبراء معان من كبرائنا ممن طالبوا من قبل بعقابنا والحوا على السلطة الا تاخذها بنا رحمة ، الا يسألوا انفسهم في خلوة مع عدم وجود « الخلوي» سؤالين بسيطين : ما قيمتنا السياسية والاجتماعية ان لم نكن امتدادا لمحافظاتنا ومدننا وقرانا التي اوصلتنا الى دائرة القرار السياسي في عمان ؟ ثم اليس تحريضنا على اصلنا يفقدنا اصالتنا ويجعلنا نكبر من حجم مصالحنا الصغيرة السياسية والاقتصادية ونصغر من حجم مدننا ومحافظاتنا من اجل عيني عمان التي فقدت الرؤية منذ وادي عربة ؟

عمّان تفقد الرؤية منذ وادي عربة

لكن كبراء معان كان وما زال شانهم كبيرا لانهم اشجار كبيرة ترعى جذورها حتى تبقى فروعها اكثر قوة ، اما اشجارنا الكبيرة شكلا والتي فقدت الاتصال بجذورها من اجل تكبير فروعها تحولت مع الزمن الى اخشاب كبيرة تحجب عنا الدفء والضوء ويشيع فيها السوس والحشرات . اما كبراء معان فهم اشجار خضراء تزداد خضرة مع الايام بحنوها على الام مدينتها ، اشجار جذورها منغمسة في تربتها وفروعها لا تقبل التقليم

كبراء معان اختاروا معان الكبيرة بمواقفها المشرقة رغم كل المغريات الصغيرة ، واختاروا بكل اصرار الا يتغنوا بولاء زائف كما يتغنى المنافقون لانهم ومدينتهم يمثلون البدايات لدولة عربية حظيت ببيعة معان وبقية المدن الاردنية من اجل ابراز الهوية ومقاومة المخططات الاستعمارية فكبراء معان يعلمون ان مدينتهم الابية هي معين الولاء الحقيقي للوطن والامة وللقيادة التي تسمو فوق خزعبلات الحكومة الموتورة ، وليس ولاء الطبول الزائفة او ولاء الذين يعلنون عن محالهم ويضائعهم وافكارهم القاصرة واخرابهم المصلحية في ظل ولاء اعلاني يسيء الى جوهر الولاء الحقيقي الذي يمكننا ان نتعلمه من روح معان والكرك والجنوب والذي لا يقبل ان يبقى بقرة حلوب وكذلك من بقية المدن الاردنية التي تنام على الطوى .

الولاء الاعلاني ولاء زائف

فكبار المدن والمناطق الذين باعوا مدنهم بولاء اعلاني زائف انعزلوا عن قواعدهم الحقيقية التي باعوها بثمن بخس وانعزلوا عن دائرة صناعة القرار التي طالما حلموا بالبقاء في دائرة القرب منها لان شرعية قربهم مستمدة من علاقتهم بقواعدهم، لذلك ما طالوا سماء القرار وما بقي لهم مكان في ارض الاحرار.

شرعية الكبراء مستمدة من الشعب وليس من السلطة

اما كبراء معان فقد زادت شرعيتهم امام مواطنيهم وحتى امام المناوئين لهم في الحكومة عبر الشرعية لان اصرارهم على قضية مدينتهم جعلهم البوابة الحقيقية لدخول المدنية وليس احتلالها، لان معان معين الرجال تعلم ان الحكومة التي امرت باحتلالها فاقدة لشرعية وجودها بعدما تبرأ منها الشارع الاردني وكبراء معان، الذين لم يتبرأوا من مدينتهم كما تبرأ غيرهم من مدنهم من قبل . يقودون بكل هدوء وعزم سياسة متوازنة لن تتوقف الا بانكشاف الحقيقة كاملة وسقوط حكومة طاقم السلام التي اصبحت مصطنعة كطقم الاسنان المخصص لقضم المواطن التعبان اما سندها الاسرائيلي فهي مستعدة لان تكسر عظام الرقبة من اجله .

عظام الرقبة غير عظام الحكومة البلاستيكية

فنحن الان ندار بحكومة تركب في عنق الوطن عظاما بلاستيكية من انتاج المصانع الاسرائيلية اما عظام الرقبة الاردنية فالتمارين على رضها وكسرها ومن ثم هرسها بدأت في معان والطفيلة والكرك مرتين وها قد عادت من جديد الى معان باسلوب سافر لا يهادن، لان العظام البلاستيكية الاسرائيلية المنتجة لرقبة حكومتنا لن يهدأ لها بال ما دامت العظام الحقيقية قوية وابية.

رقبة الحكومة عظامها بلاستيكية من انتاج العظام الاسرائيلية

وكبراء معان الكبار حقا يقدمون لنا نموذجا كبيرا للحفاظ على قوة عظام الرقبة الحقيقية رغم انف عظام الرقبة البلاستيكية المفروضة على رقبة البلاد التي طالما عضها طقم اسنان حكومة طاقم السلام . لكن كبراء معان واهل معان الكبار سيكون لهم الدور الكبير في كسر طقم الاسنا . وعظام الرقبة في معان يعلمون ان الرقبة منحنية دونهم ودون الكرك وبقية مدن المملكة الموالية للوطن والامة اولا وللقيادة التي لا تقبل وليس من مصلحتها ان تقبل كسر عظام رقبة هذا الوطن . ولان كبار معان وكل اهل معان كبار يصرون على حماية الرقبة من اي مكروه باصرارهم على التحقيق فيما حصل في مدينتهم رغم انف الضغوط وهذا حقهم من اجلهم ومن اجل التاريخ ومن اجلنا كلنا ، واصرارهم هذا يناقضة ما حصل بعد احداث الكرك ١٩٩٦ ، فبعد تلك الاحداث التي ناوشت عظام الرقبة في الكرك دعا كاتب هذا المقال في صحيفة الميثاق الغراء الى تشكيل تحقيق فيما جرى ، لكن مع الاسف الشديد لم تلق تلك الدعوة المهمة ما تستحقه من اهتمام لان كبرانا الذين باعونا بولاء زائف لم يروا ذاك الراي. اما كبراء معان فها هم يصرون على تشكيل لجنة محايدة للتحقيق في اسباب ما جرى في معان ، وفي كل المجريات التي تعاملت بها الحكومة مع معان الابية كانها مدينة محتلة.

قضية معان ستكسر طقم الاسنان الممثل بحكومة طاقم السلام

فامور كثيرة جرت في معان لابد من ان تظهر جلية من خلال تحقيق كبير يشارك فيه الصغير والكبير ولا سيما كبراء معان من اجل اخراج قصة معان كاملة للراي العام الاردني والعربي والعالمي كيلا يتكرر مسلسل احتلال المدن، فان خرج كتاب التحقيق الكبير فستبيض وجوه وستسود وجوه، وسنرى كيف سيتهاوى طقم اسنان حكومة طاقم السلام التي اعلنت السلام باي ثمن مع اسرائيل واعلنت الحرب الشاملة على الاوطان المنهكة، لكن كبراء معان واهل معان كلهم كبراء ونموذج للاباء ولاسقاط حكومات الانحناء فهلم نتعلم الولاء من كبراء الاباء في معان..

الآن هنا

لم يحدث زلزال قط، الا وسبقته مجموعة من المؤشرات، يسمونها: علامات، تؤثر على حدوثه، وتنذر بالكارثة، فتشعر بها حتى الحيوانات الصغيرة، ويدركها العقلاء، والغبي من يتجاهلها ويبقى بلا عمل، فلا يحصن بيته، ولا ياخذ اية احتياطات.

وكما الطبيعة ، تماما، تكون الاحداث، فقبل الحروب تظهر مؤشراتها وقبل المجاعات، تظهر العلامات التي يجب ان تؤخذ بالحسبان، وتدرس حتى يكون بالامكان انقاذ اي شيء مهما كان صغيرا .

الجريمة المنظمة : أسباب ... ونتائج سياسية

مقدمات الزلزال

الحكومات، تحوّل الاردن الى ساحة تصفيات، وهي المسؤولة عن الاضرار بهيبة الدولة

الخصخصة والتوطين والتطبيع ، تحولات باتجاه الكارثة

كتب : عبدالله سليمان ابورمان

لعل الجريمة ، هي اخطر المؤشرات، التي تنذر بتحولات خطيرة على اي مجتمع ، ولا تقل خرابا، عما يتركه الزلزال ، فاذا ارتفعت نسب الجريمة في اي بلد، واذا ظهرت اشكال جديدة منها ، واذا خرجت عن حد المألوف ،او ما يمكن السيطرة عليه، حينها، يجب ان تبحث الاسباب وتدرس وتعالج، لتحد من خطورة النتائج ، وشموليتها .

والاردن هذا البلد العربي الاصيل، والذي اندغم ابناؤه على مدار عقود خلت بالامل الواحد والهم الواحد، وزاد من ترابطهم ما اتفقوا عليه، من قيم مستمدة من نمط حياتهم وانتاجهم ذي الطابع القروي الرعوي.اصبحوا الان، يشاهدون، وبانتظام ، اشكالا وفنونا جديدة في الجرائم ، لا عهد لهم بها، ولم يكن من الممكن لهم ان يتخيلوها: فمن جرائم قتل الابناء، الى الاعتداء على حياة احد الوالدين او كليهما، الى اغتصاب الاطفال، الى ظواهر اجتماعية من نمط «عبدة الشياطين» وتنامي في اعداد «الزعران» والتضاعف المستمر في احداث العنف داخل الملاعب. وعلى خلفية مباراة رياضية، تخرج عن هذه الخلفية وتتجاوزها لتغدو احتجاجا سياسيا او اجتماعيا ذا طابع فاشي، يخجل المسؤولون وحتى المواطنون من معالجته، ليتركوا الفرص تتهيأ وتكتمل لحدوث الزلزال .

ولم يقف الامر عن هذا الحد، على كل ما فيه من بشاعة ، بل تطور باتجاه ظهور الجريمة المنظمة ذات طبيعة احترافية. ترتبط تماماً، باختراق امن البلد وسيادته، فمن المحاولة الفاشلة للاعتداء على حياة خالد مشعل، باستخدام اكثر الطرق احترافا، ولزما، الى الاعتداء على حياة الصيادلة الى جريمة الرابية، والتي تكررت بنفس الاساليب والطريقة والادوات الاحترافية مؤخرا.

ان هذه التطورات الخطيرة ، تستدعي ان نستحضر النموذج اللبناني، فقد ارهصت مثل هذه الجرائم، والتي نراها الان في الاردن، لنشوب الحرب الاهلية فيه، وبالتالي: توفير كل الشروط للاجتياح الاسرائيلي، تحت عنوان «نظرية الامن الاسرائيلية».

ومن هنا فان علينا الوقوف ملياً، ومراجعة مسار الامور، والدعوة لمحاسبة المتسببين، خصوصاً، عندما يرتبط الامر بمستقبل الاردن، وامنه، واستقراره، الاردن الذي لا ننظر إليه كشعار للمزاودة، ولا كمحطة مؤقتة، بل وطن، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من قداسة وقلب لا يرتجف إلا لها

اسباب سياسية

وامام ذلك، وبعد سلسلة تكاد تكون مترابطة، من الجرائم المنظمة، التي لم نالفها، ولم نكن لنتوقعها، فيما مضى، اي: قبل توقيع معاهدة وادي عربة، وقبل ان تبدأ الدولة بالتخلي عن دورها الاجتماعي، بما يعنيه ذلك، من تخلٍ عن الدور التقليدي للدولة الاردنية في تأمين فرص العمل للمواطنين والسيطرة على الاسعار والرقابة المصرفية والمالية، والتامين الصحي والتعليمي، كل ذلك مع عدم وجود فترة كافية للتكيف مع المرحلة القادمة، إضافة الى غياب البديل الوطني القادر على تامين مصالح الطبقة الوسطى والغالبية الشعبية واتسام القطاع الخاص في الاردن بالطابع الكمبرادوري او الوسيط وحسب.

إن هذه التحولات السياسية التي شهدتها الدولة الاردنية، تكفي لوحدها، لضرب الطبقة الوسطى وتكسيرها، وبالتالي، توفير شروط افضل لظهور مجموعات من الظواهر الاجتماعية، والجنائية، المرافقة بالضرورة لهذه التحولات.

وإذا ربطنا هذه التحولات، بسلسلة من الاعتداءات شنتها الحكومات المتتالية على المجتمع والدولة الاردنية، فانه سيكون بإمكاننا الوقوف أكثر على مدى خطورة الواقع، وبالتالي، مقدار الخطر الجارف، الذي يهدد المستقبل.

إن ما تشهده الدولة الاردنية من تحولات، هي في الحقيقة من استحقاقات وادي عربة، والمشروع الصهيوني، تصب جميعها في اتجاه تفكيك الاردن، وتفتيته، بحيث يقود ذلك الى التفسخ الاجتماعي، وبالتالي: الانفجار، الذي يمهد للحلقة القادمة من المشروع الصهيوني

والآن، فلنتعرف على أهم اليات التفتيت، سالف الذكر، من خلال أخطر القضايا التي يمر بها الاردن، وموقعها من استهدافات التسوية الجارية.

الخصخصة

في الغالب ما تلجأ الدعاية الراسمالية الى تصوير النخاصية، كإنقاذ لا بد منه، من فلسفة التنمية الشاملة، والقطاع العام، والذي يوصف في هذه الدعاية بالترهل، وتغليب الاعتبارات الاجتماعية، والتحفظ الشديد في السياسات المالية والنقدية والميل لميزان مدفوعات معقول، على كل الاعتبارات.

والمهم على الساحة الاردنية ان الخصخصة تلعب دوراً مزدوجاً تتقاطع فيه المصالح الاميركية المباشرة مع المصالح الاسرائيلية في بعدها السياسي القائم على تفكيك الاردن، وتحويله إلى كانتون لاستيعاب الشكلة السكانية الفلسطينية في الاطار الشرق اوسطي الاسرائيلي.

كما انها ترتبط، تماماً، بانتهاء دور الرعاية الاجتماعية، وعدم قدرة المؤسسات الحكومية على الاستمرار في نفقاتها وتكاليفها السابقة.

إن ما يجري على أرض الواقع، ليس نقل هذه المؤسسة أو تلك، من قطاع بيروقراطي غير منتج، لصالح قطاع حيوي من قطاعات الاقتصاد المفتوح، فالقطاع الخاص في الاردن يتميز، عموماً، بطابعه الطفيلي، وضعف القيمة المضافة، وعدم مساهمته بحمل الاعباء الاجتماعية، الامر الذي لا بد وان يترك اثاره على الواقع الجنائي، وتطورات الجريمة وفنونها.

إن ما يحدث على صعيد الخصخصة، يضعنا امام الاستنتاج الاقوى: وهو ان المسألة، تتعدى الربح والخسارة واشكال التفاعل مع النظام العالمي الجديد ... الى حسابات اسرائيلية، تتعلق بتوفير الشروط، لحل المشكلة السكانية الفلسطينية، في الارض المحتلة، على الارض الاردنية.

وتتضح هذه الوظيفة من خلال الآليات التي يطلقها التجاوب الاردني، مع «الغات»، والتي تؤدي، موضوعياً، الى تحطيم القاعدة الاجتماعية للدولة الاردنية، وتعويم الاردن بأسره، وليس سعر صرف الدينار فقط.

إن الانضمام الاردني «للغات» والترافق مع حركة التسوية الاسرائيلية في ابعادها التفكيكية، ليس بعيداً، أبداً، عن الاحتياجات الاقليمية الاسرائيلية لشروط تمددها في المجال الحيوي لمركز المثلث الاردني – الفلسطيني – الاسرائيلي.

وبعد كل ذلك، نقف امام النتائج الحتمية، والتي لا يتجاهلها ذو عقل، الا متآمرا: فتخلي الدولة عن دورها الاجتماعي، يؤدي بشكل مباشر الى تزايد نسب البطالة، والتضخم وارتفاع الاسعار، وبالتالي، ارتفاع متوسط عمر الزواج، وازدياد في اعداد العازفين عن الزواج. فالافقار: وهبوط المستوى المعيشي لاوساط اجتماعية واسعة، مع تزايد في الحاجيات والضرورات، واليأس من تامينها. وارتباط ذلك، بالادمان على المخدرات ، كوسيلة للهروب من الاعباء، وخصوصا مع ارتفاع اعداد الخريجين من الجامعات والمعاهد بدون اي بارقة امل، بفرصة للعمل.

وبالتالي: ردّة الفعل الاجتماعي، على هذه الحالات من خلال الجرائم، والتي يكفي للدلالة عليها ما رأيناه مؤخرا من جرائم تطال الابناء، بحيث يقدم اب وفي اكثر من منطقة، على قتل زوجته وابنائه جميعا، كحل سريع، لمعاناته امام جوعهم. وعجزه عن تامين احتياجاتهم .

وفي الجانب الاخر ، فان غياب الدولة ودورها ومشروعها، كل ذلك يؤدي الى تفكك «النخبة» الحاكمة ، وبالتالي ظهور الحاجة لوجود «مافيات» تؤمن مصالح شرائح معينة من المجتمع. في ظل عدم وجود بورجوازية متماسكة بحيث تؤسس لنخبة اجتماعية متماسكة تدير صراعاتها ديمقراطيا .

الامر الذي يذكرنا، تماما،

الاحداث تستوجب استقالة الحكومة

بالنموذج الروسي. فبعد ان كانت «موسكو» اكثر مدن العالم امانا واستقرارا، تحولت في عهد الخصخصة وغياب الدور الاجتماعي للدولة ، الى مدينة «مافيات» توظف كل عصابة لخدمة احدى الشرائح ، وحماية مصالحها، وتامينها .

التوطين

لقد مرّت السياسات الاردنية التي خدمت مشروع التوطين بعشرات المحطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ابتداء بقرارات مؤتمر أريحا، واجراءات الاردنة القسرية، والصراع ضد تبلور الشخصية الوطنية الفلسطينية، مروراً باكثر من مشروع سياسي من نمط المملكة المتحدة ١٩٧٢، وانتهاء بالتطورات الاخيرة، التي كرّستها معاهدة وادي عربة، واستحقاقاتها، من نمط إضعاف قوى الدولة التقليدية لصالح قوى السوق الطفيلية من خلال الخصخصة. بحيث أصبح من اليسير على المسؤولين الاردنيين، ان يصرحوا بان اللاجئين الفلسطينيين في الاردن، هم مواطنون اردنيون.

ان توفير شروط اندماج الضفة الغربية، تدريجياً، باسرائيل، هو قاعدة لكل المشاريع، والتحركات الاميركية – الاسرائيلية. كما وان توفير شروط اندماج الفلسطينيين، في الحياة الاقتصادية الاردنية، هو الوجه الاخر لهذه المشاريع.

إننا بحق، امام تطورات سريعة، على المستوى السياسي، باتجاه الكارثة والتي لا تستثني احداً. وهي ثمرة من ثمرات السلام، ولو كان لدينا متسع لعددنا المزيد من ثمراته، على صعيد المياه والبيئة، والسيادة الوطنية، وعروبة الاردن، وغير ذلك. ولكننا معنيون بالحديث المباشر عن اليات التفكيك القائمة في الاردن على صعيد الدولة، وبالتالي، اثارها على الواقع الاجتماعي. فالاردن، واعتماداً على هذه التحولات، فقط، وبدون اية تطورات اخرى، يقبل على المرحلة الاخطر، والتي سيتحول معها الاردنيون الى شحادين وعاطلين عن العمل، وربما «زعران».

فماذا، عن التحولات الاخرى، وماذا عن الانقلابات السكانية، والاضطرابات الديمغرافية، والاعتداءات الصهيونية، والخارجية على امن وسيادة الاردن؟ لا شك إننا أمام زلزال، لا بد أن يتداركه، الاردنيون، وإن لم يفعلوا، فليبحثوا عن وطن، يضربون به خيامهم....

تغييرات سكانية

لقد مرّ الاردن، بتحولات سكانية، متعددة، ساهمت بشكل مباشر في ضرب المجتمع الاردني، وتحويله الى عدة مجاميع متنافرة، لا يمكن ان تتجانس، بحكم الثقافة الاجتماعية، ومنظومة القيم، وحتى الانتماء. وبالتالي، تراجع الضابط الاجتماعي القيمي، والذي سيطر، لفترات طويلة، على مسار الامور، ووضع حلوله لكل الظواهر الجنائية والجنحية.

إن النمو السكاني في الاردن، لا يمكن باي حال من الاحوال أن يكون نمواً طبيعياً. بل هو، وبكل صراحة وبساطة، نمو سياسي، لدواعي منافسة الآخرين على السكان، وبالتالي، فإن دخول المجتمعات الاخرى ذات الثقافة المغايرة، بل واحياناً المضادة، او المعاكسة، لثقافته نصف الفلاحية نصف الرعوية، يعني، بالضرورة، تكسير منظومة القيم التي كانت سائدة هنا، وبدون اية بدائل سوى الانحلال والخراب.

ولا بد هنا من التأكيد، على أن الهجرة الاخيرة من الخليج في أعقاب حرب الخليج، حملت معها، اضافة الى الاعباء السكانية، ثقافة «نفطية»، لم تنم نمواً طبيعياً ولا تطورت بالاسس العلمية للتطور الثقافي، وإنما تفجرت مع آبار النفط، واقحمت في الاطار الاجتماعي.

وإذا اضفنا الى ذلك، ان القادمين من الخليج الى الاردن، تمركزوا في المدن الثلاث الرئيسية الكبرى، ندرك مقدار الاختلال الذي اصاب الاردن، بحيث تضخمت هذه المدن، وتأزّمت، وارتفعت، بل وتضاعفت نسبة الكثافة السكانية فيها، وبالتالي كل ما يعنيه ذلك من انعكاسات على الصعيد الاجتماعي. تسببت في خلق حالة من الاختناق، تلازم عدم وجود فترة للتكيف مع التطورات العجيبة، مما يولّد في الغالب، الحاجة للعنف، او الانفصام، والذي بات ملموساً، في المجتمع الاردني.

وفي المقابل، فقد أصبح الريف الاردني، وسائر المدن الاخرى، في حالة من الفقر، وضعف الموارد، بحيث تحولت الى عامل طرد، بما يعنيه ذلك، من انتقال القوى المنتجة، من مواقعها الحقيقة الى مواقع الاستهلاك، لتتحول الى عالات مستهلكة.

وأمام كل ذلك، يتراجع دور المؤسسات الاجتماعية كالعشيرة، والاسرة، بل وتفقد سيطرتها على ابنائها، بحيث تنعدم الضوابط ويصبح من اليسير جداً، أن ينهار حجر الزاوية في البناء الاجتماعي، وهو الاسرة، مع عدم وجود بدائل، في مجتمع لا يستطيع أبدا إيجاد بديل عن الأسرة.

والنتيجة الحتمية لذلك ، ديمغرافيا غير متجانسة، مجرمون من شتى المنابت والاصول، وانعدام الضوابط التي تحد من الجريمة. هذه الضوابط التي وجدت قديما. مرتبطة، بوجود التجانس الديمغرافي والقيمي في المجتمع الاردني.

وبالتالي، فانه من اليسير لنا ان ندرك سرّ ارتفاع نسبة الجريمة في عمان والزرقاء، وقلتها في معان والطفيلة والكرك والرمثا والمفرق وغيرها من المدن الاردنية المتجانسة سكانيا، والتي تربط ما بينها قيم مشتركة وعادات وتقاليد واحدة.

الحكومة هي المسؤول الاول

إن الحكومة الاردنية، والتي تورطت كسابقاتها، في مجمل ما وصلت اليه الامور من خلل، وارباك، بحيث ساهمت في سياساتها، بارتفاع مستوى الجريمة، وظهور الادمان بكل اشكاله، مما لم يكن مألوفا قبل توقيع معاهدة وادي عربة، وفقدان المواطن لشعوره بالانتماء وبالامان، وبأدنى ثقة في المستقبل، عليها أن تتحمل مسؤولية ما تؤول إليه الامور، وأن تدرك أن الحل لا يكمن في البحث عن المندسين المزعومين، من ابناء هذا البلد الذين انتصروا لعروبتهم، في حين تطلق فيه سراح المندسين الحقيقيين، من عملاء، الموساد الذين خرقوا السيادة الاردنية، وانها بفتحها المجال لحثالات العالم، وطرداء الانظمة العربية، ليمارسوا نشاطهم الامني والسياسي، ضد بلدانهم وانظمتهم، من ارض الاردن، إنما هي تحوّل الاردن، الى ساحة عمليات وتصفيات، ستؤدي الى الانفجار الذي سنكون نحن أوّل من يقف في وجهه.

والحكومة، التي اعتدت على الكرك، ومن ثم على معان، فالمفرق وقبلها اربد، هي التي اضرّت بهيبة الدولة الاردنية، وبهيبة النظام، واخلّت بالعلاقة بين المواطنين المدنيين والمواطنين من رجال الامن، حتى صرنا، ولأول مرة في تاريخ الاردن، نسمع عن تبادل اطلاق النار بين المواطنين ورجال الامن.

وبعد ....

فماذا يبقى لهذه الحكومة، وخصوصاً، بعد ما شهده الاردن، من اشكال محترفة ومنظمة للجريمة، اوشك بعضها على التقادم، ولم تكشف خيوطها.

اعتقد، انه وبدواعي، احترام النفس، وحفظ ماء الوجه، فإن على هذه الحكومة، ان تستقيل فوراً، وان تفتح المجال، ليتولى المسؤولية غيرها، ممن يدركون حجم الاخطار التي تتهدد المستقبل الاردني، بل والوجود الاردني.

الخطر يهدد أمن المجتمع على كافة المستويات

د. الخصاونة : ضعف هيبة الدولة هو السبب الرئيسي

المحامي الدكتور هاني الخصاونة تحدث للميثاق حول تنامي اشكال الجريمة في الاردن فقال انني اتفق مع الراي الذي يرى ان تنامي الجريمة، وازديادها في الاردن خلال الاشهر الماضية ما ينذر بالخطر الشديد على أمن المجتمع وعلى كل المستويات، ولقد لفت نظري كثيرا تفشي جرائم القتل في الاردن واستسهال الاقدام على عملية ازهاق الارواح لدى الناس

اما تفسيري لهذه الظاهرة فهو يقوم على ارجاع هذه الظاهرة الى عاملين، العامل الاول ضعف هيبة الدولة، والعامل الثاني استبدال مناهج التربية الوطنية في وسائل الاعلام وفي الندوات ببدائل مخربة مثل الترويج للفردية المفرطة، وتقديس الغني واعتباره النموذج الاعلى في المجتمع وغياب الحديث عن التراحم الاجتماعي وقيم المحبة وافتداء الوطن وحلول الحديث المتكرر المجوج عن الخصخصة، واستجداء الغني الاجنبي ليستثمر ويشغل ابناء الوطن.

كل هذه الظروف ولّدت حالة من الضياع والاحباط واللامبالاة في اوساط المجتمع وخاصة ما يرافق هذه الظواهر من تهوين من مكانة الرجال العامين المحترمين، وتوجيه التهم لهم، وفتح المجال الواسع على ابوابه لمن هب ودب للتطاول على ابناء الاردن المجربين، او التحدث باسمهم والترويج لامور ومواقف منافية لتاريخ شعب الاردن وتراثه وتاريخه ونضال الاباء والاجداد منه.

ويهمني ان اوضح ان ما اقصده بهيبة الدولة وضعفها في السنوات الاخيرة، هو هوان مبدأ سيادة القانون في المجتمع الاردني، فمقياس الحضارة في المجتمعات الراقية، بل ان القياس الوحيد، هو احترام كل عناصر المجتمع والدولة للقانون، سواء كانوا حكاماً او محكومين وخضوع الجميع لقواعد القانون ولجوئهم الى القضاء للحصول على حقوقهم، وهانحن نلاحظ مدى العبث بهذا المبدأ العظيم، فبدلاً من الخضوع للقانون نبعث من الجاهلية بقوانين الفئوية والجهوية والعشائرية السلبية. وعندما تصطدم مصلحة أي طرف مع القانون يستل سيف الجاهلية ويستقوي على الشرطي وعلى القاضي وعلى رجل الادارة وعلى المجتمع كله، بتلك الاسلحة الخبيثة التي تضعف روح المواطنة وتهدم في الكيان العام للمواطنين

وهذا لا يعني ابداً انني ضد التراحم مع ذوي القربى ولكن شتان بين التراحم والتواصل على المعروف، وعلى مخافة الله وطاعته، وبين ان تشكل كل فئة او عشيرة قوة تستقوي على القانون، وتتصرف وكأنها اقوى من القانون. لن يستقيم امرنا إلاّ باسترداد هيبة الدولة، وشرط ذلك الوحيد، هو احترام القانون من الجميع، وخضوع الحاكم له مثل المحكوم، وهنا يأتي دور ادوات التوجيه والتأثير في الراي العام، من حيث اهمية الترويج لثقافة سيادة القانون، وغرس احترامه وإجلاله في نفوس المواطنين، وتقديم البرامج التي تعزز هذا التوجه

لأوّل مرّة في تاريخ الحكومات تحدث مواجهات مسلحة بين المواطنين ورجال الامن

النائب الخرابشة: الامن يعادل الخبز

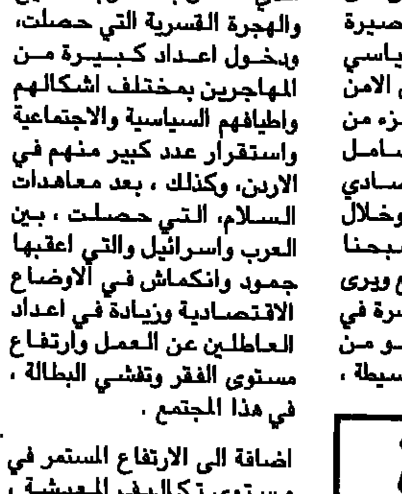
النائب والمحامي محمود الخرابشة ، رجل الامن السابق، الذي يؤكد باستمرار، اولوية الامن، وارتباط الامن السياسي، بالمفهوم الشامل للامن: من خلال عناصره المتعددة: الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، ما زال، مؤمنا، بان على الحكومات ان تؤمن الناس في خبزهم، وظائفهم ،حرياتهم، ومستقبلهم، وبالتالي يتحقق مفهوم الامن السياسي، والاستقرار الذي تدعي الحكومة، انها تسعى لتحقيقه.

الميثاق، وفي خضم تسارع الاحداث ، وظهور اشكال جديدة للجريمة ، ذات السمة الاحترافية والمنظمة ، التقت النائب الخرابشة؛ الذي تحدث حول التطورات التي يشهدها المجتمع الاردني، فقال :

حقيقة في بعض الاحيان مهما صمت الانسان لا يملك الا ان يتحدث في النهاية خاصة ازاء القضية الامنية والتي هي من اهم القضايا ان لم تكن اهمها على الاطلاق، لان الامن كما اقول باستمرار يعادل الخبز. والاردن حقيقة بلد من البلدان الامنة والتي تفخر وتباهي الجميع بامنها واستقرارها وحفاظها على امن مواطنها الداخلي والخارجي، وان كان الامن الى فترة زمنية قصيرة كان يرتبط بالامن السياسي فقط، على انني ارى ان الامن السياسي ما هو الا جزء من الامن بمفهومه الشامل السياسي الاقتصادي الاجتماعي الثقافي. وخلال فترة زمنية وجيزة أصبحنا واصبح المواطن يستمع ويرى الكثير من الجرائم المنتشرة في هذا المجتمع الذي هو من المجتمعات المحافظة والبسيطة ، والتي بقيت لفترة زمنية طويلة ، بعيدة عن هذا النوع من الجرائم وعن ممارستها . لكن التسارع الذي حصل بعد حرب الخليج والهجرة القسرية التي حصلت، ودخول اعداد كبيرة من المهاجرين بمختلف اشكالهم واطيافهم السياسية والاجتماعية واستقرار عدد كبير منهم في الاردن، وكذلك ، بعد معاهدات السلام، التي حصلت ، بين العرب واسرائيل والتي اعقبها جمود وانكماش في الاوضاع الاقتصادية وزيادة في اعداد العاطلين عن العمل وارتفاع مستوى الفقر وتفشي البطالة ، في هذا المجتمع .

اضافة الى الارتفاع المستمر في مستوى تكاليف المعيشة ، وازدياد عدد الخريجين من الشباب الذين يشكلون جيوشا من العاطلين عن العمل، كل هذه العوامل، بالاضافة الى عوامل اخرى مثل مصادرة حق حرية التعبير والراي ، وكذلك تفشي ظاهرة تعاطي المخدرات والتي اصبحت ظاهرة تقلق المجتمع الاردني، على الرغم من ان الجهاز المختص يقوم بواجبه ، الا ان المعلومات المتوفرة من خلال جهاز ادارة مكافحة المخدرات تفيد بان ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الاردني اصبحت ظاهرة تقلق الاجهزة الامنية والجهات المختصة الاخرى بسبب ازدياد عدد المتعاطين، والمتعاملين مع المخدرات بشكل عام. كل هذه العوامل قد تكون سببا من الاسباب الرئيسية والمباشرة والتي تؤدي الى وجود الجريمة في مجتمعنا، خاصة واننا شهدنا في الفترة الاخيرة عددا من هذه الجرائم، ابتداء من جريمة الرابية ومحاولة اغتيال خالد مشعل، وجريمة مقتل الصيادلة والجريمة الاخيرة قبل عدة ايام التي ارتكبت في عمان والتي اعتبرها جريمة غريبة ودخيلة على المجتمع الاردني. والحقيقة ان الاجهزة الامنية بجميع مستوياتها وتسمياتها، معنية ومسؤولة عن هذه الجرائم ولابد من ان تتكاتف جهودها في سبيل منع وقوع هذه الجرائم ومن ثم ملاحقة مرتكبي الجرائم السابقة والقاء القبض عليهم واحالتهم للعدالة.

اما بخصوص وجود مندسين كما تزعم الحكومة فانا ارى بانه لا يوجد مندسون، ولكن هنالك مواطنون من ابناء هذا البلد ممن تتوفر لديهم مشاعر وطنية وقومية صادقة تجاه الارض العربية اينما كانت والشعوب العربية وقضايا الامة العربية ولابد لهم من ان يعبروا عن هذه العواطف والاحاسيس بطريقة او باخرى وان اختلفت وسائل التعبير والحقيقة فيما اذا كان هناك «مندسون» فعلى الحكومة ان تلقي القبض عليهم وتقدمهم للعدالة لينالوا ثمن اندساسهم . في الوقت الذي كان هناك فعلا «مندسون» وهم الذين قاموا بانتهاك سيادة الاردن وحرمة اراضيه وقاموا بالاعتداء على مواطن اردني يحمل الجنسية الاردنية يقيم على الارض الاردنية ، ضاربين بعرض الحائط كل الاتفاقيات والمواثيق الموقعة بين الحكومتين في وقت سابق، ومع كل ذلك ، فقد قامت الحكومة بالافراج عن هؤلاء ودون ان نعلم ما هو مصيرهم . علما بانه كان من المفروض طالما انهم قد انتهكوا او اندسوا داخل الاراضي الاردنية «واندسوا» لاغتيال مواطن اردني فكان من الاولى والاجدر بالحكومة ان تحاكمهم، كمندسين حقيقيين اساؤوا او انتهكوا امن الاردن وامن مواطن اردني.



واضاف المحامي الخرابشة: ان هذه الانتهاكات سجلت في عهد هذه الحكومة وان هذه الحكومة هي المسؤولة مسؤولية مباشرة عما حصل، وعلى هذه الحكومة ان تبادر لاصلاح الهوة والفجوة التي اصبحت تفصل بينها وبين المواطن وان تصحح مسيرتها وان تعالج الاخطاء والثغرات التي ارتكبتها، خلال فترة وجودها . وانني اعتقد ان هنالك حالة من الاحتقان وعدم الرضى عن هذه الحكومة ، حيث انه ولاول مرة في تاريخ الحكومات الاردنية تحصل فيهما مجابهات ومصادمات مسلحة ما بين المواطن من جهة ورجال الامن والقوات المسلحة من جهة اخرى كما حصل في معان وبعدها في منطقة المفرق وبعدها في اربد. وهذه المصادمات ذهب ضحيتها مواطنون من ابناء هذا البلد، سواء من العسكريين او المدنيين حيث انهم جميعا ابناؤنا واخواننا وفقدان اي منهم خسارة لنا جميعا .

واضاف النائب الخرابشة :

انني اعتقد بان حالة المواجهة والتي نتمنى ان لا تحصل في المستقبل لم تات من فراغ، حيث ان المواطن يدرك بان رجل الامن او الجندي هو قريبه او صديقه وابن بلده، وبالتالي، فانه يحتفظ له بكل الود والحبة والاحترام. ولكن عندما تصل الامور لمرحلة المواجهة ما بين المواطن المدني والمواطن الشرطي او الجندي، فان هذا يدل دلالة واضحة على ان هناك خللا كبيرا وتباعدا بين المواقف فيما يخص المواطن من جهة والحكومة من جهة . واكد المحامي الخرابشة ان جلالة الملك عندما يثق بحكومة فانه يرسم لها الخطوط العريضة والملامح الرئيسية للسياسة التي يريد ان تنتهجها هذه الحكومة، والحكومة الحالية ، لم يكن لها بيان وزاري ولكنها اعتمدت خطاب العرش السامي، كبيان وزاري، وهذا من حقها بموجب احكام الدستور، وكنا نامل من هذه الحكومة ان تكون بمستوى الخطاب الملكي السامي الذي القاه جلالة الملك يوم افتتاحه للدورة العادية الاولى لمجلس النواب الثالث عشر ولكنني اقول مع كل الاحترام والتقدير لهذه الحكومة بانها لم تجسد من وجهة نظري، خطاب العرش السامي، كما اراده جلالة الملك، فمن خلال معرفة هذه الحكومة، اثناء اجتماعات المجلس في دورته الاولى ، ومن خلال طرح الكثيرمن هموم وقضايا تهم المواطن ومناقشتها مع الحكومة، فقد تبين لي ان الحكومة غير صادقة ، احيانا ، حتى في اجاباتها.

المعايطة: إنها بداية ... للجريمة المنظمة

الاستاذ محمود المعايطة تحدث للميثاق مجيبا على سؤالنا حول الجريمة في الاردن فقال:

ان ظاهرة تكرار الجرائم هذه الايام، على الساحة الاردنية، مؤشر خطير، اذ لم يسبق ان شاهد مجتمعنا مثل تلك الجرائم. هذا المجتمع الذي تربى على القيم العربية الاصيلة، والمعززة بروح الاسلام السمح منذ القدم، تلك الرسالة السماوية التي حملتها الامة العربية للانسانية كافة، ليعم السلام والامن ربوع العالم.

ان المتتبع لما يجري هذه الايام، يجد ان له اسباباً عديدة، منها ما هو اقتصادي، او سياسي، او اجتماعي وامني، وكذلك من فعل قوى خارجية.

سأتعرض لبعض من هذه الاسباب، وابين ما اعتقده مفيداً لعلاج تلك الظاهرة الخطيرة، والدخيلة على هذا المجتمع. علماً بان المسؤولية بشكل عام، تقع على جميع الاطراف، رسمية كانت او شعبية. وان على الجميع التعاون بقدر امكانية كل طرف، لدرء تلك المفاسد الجسيمة.

كان لحرب الخليج الثانية، تاثير كبير على الواقع الاجتماعي، والاقتصادي، والانساني هنا في الاردن. وامتد ذلك التاثير على مختلف نواحي الحياة، حيث توارد مئات الآلاف من دول الخليج العربي، والجزيرةالعربية وفلسطين العربي للاردن، نتيجة لتلك الحرب. السبب الذي خلق عبئاً ثقيلاً على كاهل السلطات الاردنية المسؤولة، وعلى المجتمع بشكل عام، حيث وجب على السلطات الاردنية ضرورة تامين السكن اللازم لهذا الكم الهائل من النازحين. وكذلك وجب تأمين الخدمات اللازمة والمواصلات، ووسائل الامن والرعاية الصحية، وضرورة العمل الجاد لدمج هذا العدد الكبير من القادمين في المجتمع الاردني، من حيث اسباب العمل، وتوفير فرص العمل اللازمة والتي تتفق ومؤهلات القادمين الشخصية.

ان تاثير هذا الحدث ثقيل جداً، على المجتمع، وليس من السهولة امكانية التغلب على اثاره ومخلفاته.

ان نمط الجريمة الذي بدأ يأخذ شكل الجريمة المنظمة وخاصة تلك الجرائم ذات النمط الجماعي، يعطي مؤشراً على ان هناك ازدياداً في الجريمة المنظمة، وان القوى التي تمارس هذه الجرائم، لا تقيم حرمة لا للوطن ولا للشعب، هذه القوى التي لها مصالح في ايقاع الاذى على هذا الشعب الطيب وهذا البلد المظلوم، حتى ممن يدعون الحرص عليه.

ان الوضع الاقتصادي المتردي نتيجة لحرب الخليج الثانية، والسلام المزعوم، حيث توقف التصدير للقطر العراقي الشقيق والى التوأم فلسطين العربية، إلا ما تجود وتوافق عليه الدولة العبرية، الشريك في السلام، وعلى ان يكون في ذلك خدمة مصالح اسرائيل الاقتصادية اولاً. وان استمر هذا الركود والتردي الاقتصادي وهذه الاحوال العصيبة فإن العواقب ستكون خيمة، وتجلب الفقر، والجوع وتعمّ البطالة، والله نسال ان ينقذ هذا الشعب مما هو فيه.

ان النظام الاقتصادي، الذي فرضه صندوق النقد الدولي، حماية لديون دول الاستكبار والاستعمار، وكذلك الخصخصة، والشراكة الجديدة بين الاردن واسرائيل في اقامة مصانع مشتركة، ومناطق حرة في كل من اربد وجسر الشيخ حسين وربما في مواقع اخرى جديدة، حيث تستورد زعيمة العالم الحر الوحيدة، الولايات المتحدة الاميركية، نتاج تلك المناطق الحرة في الاردن، معفاة من كافة الرسوم والضرائب، ما هذا إلاّ وسائل من اجل مزيد من التطبيع مع اسرائيل، والابتعاد في الاردن عن واقعه القومي، وخدمة لمصلحة الاقتصاد الاسرائيلي، كما ان ذلك يضر كثيراً بعض الصناعات الاردنية القائمة.

ان هذه الاوضاع المتردية، تفرض على الجميع ضرورة العمل الجاد والمخلص، وكذلك التكافل والتعاون فيما بين ابناء هذا الشعب المخلصين، حتى لا يقع تحت سيطرة الاقتصاد الاسرائيلي، وشركائه من ذوي النفوس المريضة، التي لا يهمها الا مصالحها الخاصة، ويتحتم العمل الصالح والامين على المستويين الوطني والقومي بسرعة ليعود الاردن العزيز لمحيطه العربي، قبل ان تضيع كل الفرص، حيث لا ينفع الندم.

ما يحدث جنائيا، انعكاسات اجتماعية لتحولات سياسية

محادين : لكل زلزال مؤشرات، والجريمة مؤشر على الانفجار

الاستاذ موفق محادين الكاتب والباحث الاردني، تحدث للميثاق عن ظاهرة التطورات الجنائية في الاردن، فقال :

يتذكر الذين عاشوا الحرب اللبنانية حجم واشكال الجرائم التي سبقت تلك الحرب.

وتشير تجارب عديدة الى ان المجتمعات تقترب احيانا من القوانين الطبيعية ، وتتعرف على الكوارث والزلازل من خلال مؤشرات محددة .

فاذا كانت حركة الطيور او الفئران او غيرها مؤشرا على زلزال او عاصفة ما، فالجريمة اخطر المؤشرات الاجتماعية على تفاقم الازمة العامة وانفجارها .

وتتفاقم هذه المسالة في البلدان التي تتقاطع فيها الاعتبارات المحلية مع الاعتبارات الاقليمية ، وتصبح الاولى تحت تاثير الثانية. واذا سلمنا بان الاردن يخضع لعملية تفكيك متواصلة منذ التوقيع على معاهدة وادي عربة ، تدفع قطاعات واسعة نحو المزيد من البطالة والفاقة والجوع والاحساس باليأس التام والافاق المسدودة ، والعجز عن التكيف مع الدورة الرهيبة بادوات ودواليب صغيرة ومتواضعة . فمن المنطقي ان نسلم بالنتائج والمظاهر الاجتماعية لهذه العملية.

وليس حسنا على الاطلاق رد ذلك الى المظاهر العالمية وخاصة سيطرة المافيا التي ترافق التحولات الاجتماعية الكبرى التي يشهدها العالم منذ الانهيار السوفياتي.

فذلك نصف او ربع الحقيقة، اما النصف الاخر في الحالة الاردنية فيرتبط ارتباطا شديدا وخاصا باستحقاقات التسوية الاسرائيلية في الاردن، وحاجة هذه الاستحقاقات لتفكيك سريع لراسمالية الدولة الاردنية ، بصرف النظر عن الثمن الاجتماعي المرعب لذلك .

وبالاضافة للانهيار المريع والكبير للطبقة الوسطى جراء العملية المذكورة ، ثمة انهيار مريع لصمامات الامان الاقليمية فيما يخص الاردن واخراج الاردن ، كما يبدو من المربع الحرام الذي لا يسمح لكواتم الصوت والتصفيات داخله.

حتى لا نصل الى الكارثة ، يجب اعادة الاعتبار للدور الاجتماعي للدولة

وعندما يحدث ذلك في مجال محدد سياسي او جنائي يصبح مسموحا في كل الجالات .. وتتحول البلد كلها الى ساحة لتصفية الحسابات بين القوى المختلفة ، ليس السياسية ، فحسب، وبل وتمتد الى المافيا والعصابات الدولية للجريمة المنظمة .

ولذلك كله، فان مواجهة الجرائم المتزايدة في الاردن ، لا يكمن في كفاءة الامن العام ، فحسب بل في كفاءة الاداء السياسي العام، ووقف الانهيار السياسي والاجتماعي، الذي يشهده الاردن منذ التوقيع على وادي عربه ، واعادة الاعتبار للدور الاجتماعي للدولة، واخراج الاردن من مثلث برمودا الاسرائيلي والعودة الى المشهد العربي.

د. ربيحات: المجتمع الاردني في حالة ترقب

كان لـ«الميثاق» وقفة مع الدكتور صبري ربيحات استاذ العلوم الاجتماعية في جامعة فيلادلفيا واستاذ علم الجريمة في الامن العام سابقاً، حول الجريمة وازديادها في الاردن، مع توضيح لماهية الجريمة في الاردن ونظرة المجتمع الاردني لها، فكان هذا الراي:

هناك فرق بين الجريمة والوعي المجتمعي بها فالجرائم هي افعال تخالف القوانين والتشريعات السارية المفعول في مجتمع ما . اما الوعي بها فيتمثل في كيفية استجابة المجتمع لهذه الافعال وتفاعله معها والمعنى الذي يضفيه على هذه الافعال ونتائجها او تصورات الشعب وتأويلاته لمعانيها ودوافعها واثارها .

ما نحن امامه اليوم هو تنامي الوعي الاردني بالجريمة اكثر من ارتفاع معدلات الجريمة . صحيح ان الجريمة عالميا في تزايد نتيجة لزيادة السكان والتغيرات الاجتماعية وتباين المعايير والقيم وتنامي وسائل الاتصالات وزيادة ووفرة السلع والممتلكات التي يمكن ان تكون موضوعا للجريمة وهدفا سهلا تقع عليه .

لكن ولتلافي اصدار احكام اعتباطية على الجريمة لابد ان ننظر نظرة معيارية للجريمة ونقارنها بمعدلات الجريمة في العالم ومعدلات الجريمة في الاردن خلال العقود والسنوات السابقة . وتتمثل هذه النظرة المعيارية بتفحص اعداد الجرائم المرتكبة سنويا والمسجلة لدى دوائر الشرطة بصفتها الجهة التي تتولى وتتلقى البلاغات الاخباريات والملاحقة والرصد والمتابعة للجريمة .

في الاردن وخلال السنوات العشر الماضية تراوحت معدلات الجريمة بين ٦٣٢ الى ما يقارب ٨٠٠ جريمة لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة اي ان الجريمة في الاردن سجلت اعدادا تراوحت بين ٢٢,٠٠٠ جريمةفي منتصف الثمانيات الى ما يقارب ٣٩,٠٠٠ جريمة في النصف الثاني من التسعينات .

ومع الاخذ بعين الاعتبار ان الجرائم التي تصل الى مسامع الشرطة لا تزيد عن ١٠ - ٢٠٪ من الجرائم المرتكبه فعلا وان كثيرا من هذه الجرائم تذهب بدون ابلاغ واحيانا تحل قبل وصولها الى الشرطة وفي احيان اخرى يتم حلها في دوائر الشرطة قبل وصولها للقضاء، الامر الذي يبرر القول بان الجريمة وحجمها في أي مجتمع لا تعدو كونها رقما مظلما «Dark Figure» لا نعرف حدوده ولا معالمه وانما تستدل على وجوده من بعض الارقام التي تصل الى مسامعنا .

ولمقارنة وضع الاردن بدول العالم يتبين ان الجريمة المسجلة في الاردن تقل بكثير عن معدلات الجريمة الواقعة في المجتمعات الصناعية والتي تتراوح بين ٥٠٠٠ - ١٢,٠٠٠ جريمة لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة في اوروبا والولايات المتحدة على التوالي .

اما فيما يتعلق بعوامل زيادة الجريمة وارتفاع معدلاتها فما من شك ان ارتفاع معدلات الجريمة هو تعبير عن تدني مستوى كفاءة النظام الاقتصادي الاجتماعي السياسي في اشباع حاجات اعضائه .. وهو تعبير عن ازمة يعيشها المجتمع وتعتبر الجريمة مؤشرا على تدهور صحة وعافية المجتمع ودعوة للقائمين على وضع وتطبيق السياسات الاجتماعية والاقتصادية الى التدخل من اجل الاصلاح واعادة تقييم مدى فعالية البرامج والسياسات التي يتبنوها فالاصل ان تكون البرامج والسياسات لصالح الافراد والجماعات تمتاز بالقدرة على توجية جهودهم واستثمار طاقاتهم في انشطة ايجابية تعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع والفائدة وتؤثر ايجابيا على نوعية حياتهم ومستوى رفاههم وسعادتهم

** اما بالنسبة للجريمة في الاردن والتي بدات تظهر وكانها بداية جريمة منظمة، عقب الدكتور ربيحات قائلا:

- الجديد في الجريمة الاردنية هو نوعية هذه الجرائم ونمط ارتكابها، بالاضافة الى تناولها لشخصيات هامة او شخصيات من فئات كانت محمية، بالاضافة الى طابعها الجماعي.

ولقد اعتدنا كدارسي مجتمع وجريمة، ان ناخذ الجريمة المنظمة على اعتبار انها مجموعة الافعال، التي يخطط لها وتنفذ ويتم تصريف عائداتها خارج اطار النظام الاقتصادي الاجتماعي المعروف. وغالباً ما يشترك في تنفيذها جهات مختلفة، فالذي يخطط غير الذي ينفذ غير الذي يوفر الحماية والتغطية، كما ان لها ابعاداً اقتصادية.

لذلك فالظواهر التي بدانا نلمحها ونتيجة لعدم توفر معلومات كافية حول التخطيط والتنفيذ والدوافع، لا نستطيع ان نجزم انها تتمشى مع النمط المتفق على تسميته بالجريمة المنظمة.

ان المجتمع الاردني يحاول ان يوجه طاقة الترقب، ويربطها بالاحداث السياسية في المنطقة، مع وجود استقطاب، لمن هم مع السلام ومن هم مناهضون للسلام، ومن هم مع العراق ومن هم ضده، وهكذا تتداخل الاتجاهات والسلوك السياسي للافراد، مع التفسيرات التي يقدمونها لهذه الحوادث.

وبدون الوقوف على الاسباب والدوافع وفئات المرتكبين يقف الانسان حائراً، بالتاكيد لانه لا يخفى ان هناك مستوى من التخطيط ومهنية في التنفيذ في بعض الجرائم.

ان المجتمع الاردني يعيش حالة ترقب ويشبه حاله حال من يقف على محطة الباص، ينتظر. بالاضافة الى عدم شفافية الاجهزة في نقل المعلومات والحقائق للناس حول هذه الحوادث، ووضعها في سياق منطقي مقنع مما يزيد في حالة الغموض ويمهد لتنامي الاشاعات.

** وعن تقييمه لمستوى الاحساس بالأمن في المجتمع الاردني، قال:

- ان مثل هذه الجرائم تحدث حالة من الفزع والقلق والتوتر والخوف لدى الاوساط المختلفة افراداً وجماعات في المجتمع الاردني، كما تؤثر على مستوى الاحساس بالأمن، ومصدر هذا الاحساس يعود لعوامل مختلفة منها الوضع الاقتصادي، تنامي البطالة، ازدياد الفقر وغيرها من الاسباب. فتاتي الجريمة وارتكابها كعرض من اعراض تردي مستوى الحياة وبالتالي يشعر الافراد بالمزيد من الخوف على مستقبلهم ومكتسباتهم، وكما يقال دائما فالأمن ركيزة الحضارة، والمناخ الأمني هو شرط ضروري سابق للاستثمار والازدهار، والطريق الى الرفاه والسعادة التي يطمح كافة افراد المجتمع لتحقيقها

ان هذه الجرائم على الرغم من انها ترتكب في كافة المجتمعات، الا ان حساسية المجتمع الاردني على المستوى الرسمي والشعبي، تصعد من مستويات الاحساس بالخوف والقلق والتوتر.

** وحول امكانية تلافي او التقليل من هذا المستوى من الاحساس بالخوف والتوتر والقلق وعدم الاماناقال د.ربيحات:

- ليس من الضروري ان نعتبر ان الشرطة هي المعنية بذلك. فالشرطة معنية بمكافحة وضبط الجريمة، وغالباً ما تاتي بعد او اثناء وقوع الجريمة، ولكن علينا اولاً معرفة العوامل المؤدية لارتكاب الجريمة، فالنظام الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية، ومنظومة التشريعات والقوانين، وهي مسؤولية تقع على كافة المؤسسات المعنية، ببناء الانسان مثل الاسرة والمؤسسات التربوية والجامعات. اما ان تقف الدولة لتبرير الجريمة والتستر عليها والافتراض انها غير موجودة، ومحاولة التقليل من اهميتها، فهذا يضاعف من احساس الناس بتدني المستوى الامني.

يجب اخذ المواقف على انها حقيقه واقعة، وان يتم العمل على تبديدها من خلال مستوى اعلى من الشفافية بحيث يتحدث الناس عن اسبابها ودوافعها وظروفها، لانها تعني الجميع.

وينبغي ان يتصدى الافراد، بمسؤولية، من اجل الوقاية منها ومنع حدوثها، بايجاد شبكات توفر مستوى افضل من التحصين وتقلل من فرص الاختراقات الخارجية.

فلا يعقل ان نتباهى بالاردن الجديد الذي اصبح الساكنون في حي واحد فيه لا يعرفون بعضهم البعض، ويمكن تشكيل جماعات (الدفاع عن الاحياء) كما هو موجود في كثير من دول العالم.

فهناك تجارب عالمية بنيت على استثمار فائض الوقت وفائض الطاقة، وانخفضت نسبة الجريمة على سبيل المثال، في الصين بعد تنفيذ مثل هذه البرامج.

ايضاً لا بد للاجهزة الامنية، ان تضع بياناتها ومعلوماتها بين ايدي الباحثين، لتحليلها لاكتشاف انماط الجريمة وتاثيرها على المجتمع، من اجل تدعيم هذه الجهود وتوجيهها في الاتجاهات، التي تمكنها من القيام بواجباتها ورسالتها. وايضاً لا يمكن ان نحد من الجرائم من خلال الوعظ، والارشاد فقط، بل لا بد من وجود برامج تهدف الى تعديل الاتجاهات والسلوك المجتمعي بحيث نعمل على ماسسة السلوك المدني ورفد هذه البرامج بنظم وتشريعات لتحقيق مزيد من التامينات الاجتماعية للفئات الاقل حظاً، ويمكن ان يتم ذلك في اعادة توطين الانشطة الامنية والاجتماعية والسياسية في المجتمعات المحلية، فهناك حالة اغتراب بين الساكن والمسكن، لهذا تبدو علاقة الناس بالمجتمع علاقة هامشية فتكون امامهم سهلة المنال ومسارح لارتكاب الجريمة.

الزعبي : ما يحدث جرائم جماعية وليست منظمة

ابو غيدا : هناك من يستهدف امن الاردن واستقراره

النائب غالب الزعبي قال:

من واقع مطالعتي للجرائم في الاردن لا يوجد جريمة منظمة وانه من السابق لاوانه الحكم علي الجرائم التي حدثت مؤخرا بانها جرائم منظمة واعتقد ان الجرائم في الاردن من النوع غير المعقد واحكم على ذلك من خلال حسي الامني. ذلك ان الجرائم المنظمة تتشكل ضمن هياكل تنظيمية وتحكمها قوانين خاصة بها وفي الغالب ان الجرائم المنظمة دوافعها مالية بحته وهذه التي تكون جرائم احترافية والقتل بحد ذاته ليس حرفة يمتهنها الشخص الا لتصفية حسابات مادية وفي الغالب تكون عارضة .

مشيرا انه في الاونة الاخيرة بدانا نلاحظ ظهور جرائم جماعية والمقصود بالجماعية اما ان يكون الجناة مجموعة او المجني عليهم مجموعة ويعتبر الاردن ارضا خصبة للجرائم الجماعية كما هو الحال في معظم دول العالم فقد ثبت لدينا ظواهر اجرامية بدات تأخذ شكلا ماديا لم نعتد عليه نتيجة تعدد الفاعلين او المجني عليهم واصبحت الجريمة اشد ضراوة واشد فتكا وليس بالضرورة ان تكون الجريمة الجماعية جريمة منظمة .

المهندس حسني ابو غيدا رئيس مجلس النقباء نقيب المهندسين قال :

ان الجرائم الاخيرة التي حدثت في الاردن تعتبر جرس انذار لذا علينا ان نكون واعيين وحذرين فمسالة ان تحدث جريمة ولا تعرف تفاصيلها ومن يقف وراءها مسالة خطيرة يجب الا تمر بسهولة وعلينا الا ناخذ الامور ببساطة فهناك من يستهدف امن ومستقبل البلد ويريد تغيير صورة الاردن الامن المستقر .

م. ابو غيدا قال ان عدم الكشف عن ملابسات الجرائم التي حدثت مؤخرا يعطي الفرصة لانتشار الشائعات وهذا امر خطير يجب التنبه له لحماية البلد اولا مضيفا انه وحسب الدراسات اذا وصلت نسبة البطالة في اي بلد الى ٢٥٪ اصبح ذلك البلد عرضة للجرائم وقد تكون منظمة فنسبة ازدياد الجرائم وتحولها لجرائم منظمة مرتبطة عادة بالاقتصاد حيث انها تزداد كلما ازداد تأزم الوضع الاقتصادي فالموضوع امني اقتصادي اجتماعي مرتبط ببعضه بعضا . واضاف انه يجب دراسة الوضع بطريقة علمية موضوعية هدفها الاول تحديد الاسباب والدوافع لمثل هذه الجرائم وبالتالي وضع الحلول المناسبة سيما وانه لا يمكن وضع شرطي امام كل بيت مؤكدا على ضرورة تطمين المواطنين واعادة الاحساس بالامان اليهم خاصة ان ما حدث من جرائم مؤخرا امر دخيل على مجتمعنا ولم نعتد عليه .





المستقبل
برامج
سلسلة ضامن

تالياً، تنشر «الميثاق» تقرير الفعاليات السياحية في وادي موسى والبتراء، وهو يكشف الى اي مدى اضرت أوهام السلام السياحية، التي روجها وزراء السياحة منذ بداية التسعينات، بالاقتصاد المحلي في المنطقة ... التي صورت الحكومة للناس ... بانها ستصبح، مع السلام، منجم ذهب!

وزراء السياحة الاردنيون توهموا، واوهموا اهالي وادي موسى ... بان السلام سيفتح الابواب امام تدفق سياحي ينبغي التحضير له باستثمارات سياحية ملائمة تستوعبه ... فباع الناس اراضيهم او رهنوها لدى البنوك وباشروا استثمارات هي الان على شفا الانهيار ... لان التدفق السياحي المزعوم على البتراء لم يحصل!! وبدلاً منه جاء الاف الزوار اليهود: يأتون لبضعة ساعات، يحملون معهم ماكلهم ومشاربهم ... ويمضون!!

الذين اعتقدوا بانه يمكن اقامة سلام بين الاردن واسرائيل بمعزل عن المنطقة، قصار النظر الى درجة مؤسفة!! فالسائح الاوروبي قد يلغي حجزا في الاردن لان مظاهرة انطلقت في رام الله، او لان اشتباكاً وقع في جنوب لبنان ... او لان وزيراً مصرياً اطلق تصريحاً ساخناً!!

والذين اعتقدوا بانه يمكن تحقيق اي فائدة من الشراكة مع اسرائيل ... مجرد اغبياء!! لان اليهودي ليس «زبون» سياحة بل مستثمر سياحة ... وهو، منذ معاهدة وادي عربة المشؤومة، يوظف البتراء لخدمة استثماراته السياحية في «ايلات»!! فإذا كان السائح الاوروبي يستطيع ان يشتري «مجاناً» زيارة البتراء ضمن برنامج سياحي في «ايلات» ... فما الذي يضطره الى شراء هذه الزيارة منا؟!

مساكين هؤلاء الذين يثقون بالتصريحات الحكومية!! فلنقرأ :

«المحرر»

الاحلام الزائفة والصحوة الموجعة في البتراء

الميثاق تنفرد بنشر تقرير الفعاليات السياحية في البتراء ووادي موسى

اوهام السلام السياحية تكلف «وادي موسى» غالياً

رهن الاهالي أراضيهم وعقاراتهم ... واستثمروا في أحلام وزراء السياحة!!

اعداد السواح الاوروبيين تتراجع ... و«الاسرائيليون» يأتون ليوم واحد!!

تعد السياحة، الرئة الاساسية والمورد الاقتصادي الاول لحوالي خمسة وعشرين الف مواطن يقطنون في منطقة وادي موسى الى جانب مئات العائلات الاخرى التي تستفيد بطريقة او باخرى من جوانب النشاط الاقتصادي في منطقة البتراء!!

واليوم نجد انفسنا من موقع المسؤولية والحس الوطني في موقف حرج اكثر من اي وقت مضى، الامر الذي يستدعي ان ندق نواقيس الخطر بجرأة وقوة هذه المرة، بعد ان ازدادت فوضى الوضع السياحي في منطقة البتراء بشكل خاص وعلى المستوى الوطني بشكل عام، حدة وصعوبة، خلّف حالة من الارباك وعدم الثقة، مما ينذر بسلسلة من الفواجع الاقتصادية التي سوف تضرب قطاع السياحة أحد اهم قطاعات الدخل الوطني.

اننا اليوم في منطقة البتراء ولا يفصلنا الا عامان عن القرن الجديد، وبعد مضي قرابة خمس سنوات على وعود اللجنة الاقتصادية والازدهار والنمو التي بشرت بها اجواء مؤتمر مدريد، وعملية السلام، نجد انفسنا في منطقة البتراء، درة السياحة الاردنية، في حالة فشل اقتصادي ذريع في عشرات المشاريع السياحية التي استثمرت فيها عشرات الملايين من الدنانير، وذلك للتراجع المذهل في اعداد السياحة واستمرار السلطات الرسمية في عدم الرغبة بتصديق ذلك،

الاستثمارات السياحية أكثر من الطلب ... و«البنوك» أو «اليهود» سيرثونها بأبخس الأثمان!!

وللغياب الواضح في الاجراءات السياسية فيما يخص صلاحيات الدولة بما يتفق مع المصالح الوطنية، إلى جانب الغياب الواضح فيما يخص الصورة المعنوية للوطن في الخارج، ونقصد هنا التسويق والترويج السياحي، وفي ضوء هذه الظروف وغيرها أصبحت وادي موسى وغيرها تتعرض لكارثة اقتصادية واضحة بعد أن اصبح عشرات المستثمرين من ابناء المنطقة عرضة للحجز على ممتلكاتهم من قبل الدائنين والبنوك، بعد ان عجزوا عن الوفاء بالتزاماتهم النقدية.

ان الاوضاع التي يمر بها قطاع الاستثمار السياحي في منطقة البتراء ووادي موسى والتي تزداد يوما بعد اخر وتنعكس على مئات العائلات، تتطلب وضع هذا القطاع وهذه المنطقة بالتحديد من قبل الحكومة تحت طائلة قرارات واجراءات انقاذية سريعة واذا كانت كل بلدان العالم تلجأ، في مثل هذه الظروف، الى اجراءات خاصة، فاننا نطالب بوضع قطاع الاستثمار السياحي في البتراء ووادي موسى تحت حالة الطوارىء، وهو ما سنحاول توضيح مبرراته تالياً:

من عدم الاهتمام الى اشاعة الاوهام!!

لقد بقيت مدينة البتراء والمجتمعات المحيطة بها لعقود مضت في حالة من الاهمال الواضح، في حين كانت البتراء، التي تعد احدى المدن التراثية الفريدة في العالم، منطقة هامشية في السياحة العالمية والاقليمية، حيث كان يعزى هذا الامر الى حالة عدم الاستقرار السياسي في منطقة الشرق الاوسط بشكل عام، علاوة على وقوع الاردن على اطول خط مواجهة، مما عزز تدني الثقة في الاستثمار السياحي، وحتى مطلع التسعينات لم يتجاوز حجم الاستثمار بضع مئات من الالاف ضمن مشاريع محدودة حيث لم يتجاوز عدد الغرف الفندقية في البتراء (٢٠٠) غرفة فندقية فقط ولا يوجد اية مطاعم مستقلة او اي مرفق سياحي خدمي اخر.

ومن الجدير بالذكر ان تلك المشاريع المحدودة كانت في معظمها ضمن الاستثمارات الرسمية للدولة، واقتصرت المشاريع الخاصة على مشروع واحد فقط، وبعد التحولات السياسية السريعة التي بدات تمر بها المنطقة بشكل عام وظهور مؤشرات التسوية السياسية للصراع العربي الاسرائيلي بعد مؤتمر مدريد (تشرين الثاني ١٩٩١) ازدادت الدعاية الرسمية المصاحبة للتحولات السياسية والاجتماعية الكبيرة التي بدأت بوادرها في تقديم الوعود وتوزيع الاماني وكان جلها يتركز على نقلة كبرى موعودة في قطاع السياحة، ووجهت الانظار بشكل اساسي ومباشر على منطقة البتراء بالتحديد.

ان تتبع مسار التطور التاريخي للتحولات في قطاع السياحة يضعنا امام جملة من الحقائق التي نلمسها جيدا في منطقة وادي موسى والبتراء بالتحديد اهمها غياب الجهات الرسمية عن التخطيط والتوجيه لقطاع اقتصادي هام يمر بمرحلة تحول وفي ظروف غير طبيعية ومصاحبة لتحولات سياسية وذلك حتى ضمن مفاهيم ومعطيات اقتصاد السوق، ثم الفوضى العامة في قطاعات التمويل للاستثمارات التي تبدو اليوم أنها مارست عملية مقامرة بمستقبل عشرات المستثمرين الصغار، كذلك النقص الحاد في المعلومات والخلط بين الحقائق والاوهام وتوزيع الاحلام الكاذبة وبيع الناس اوهام اقتصادية لم يتحقق منها شيء يذكر وهو الدور الذي مارسته الحكومات المتتالية.

خديعة الاستثمار في القطاع السياحي

لقد مارست الاجهزة الرسمية والشخصيات الاعتبارية دوراً كبيراً في خلق خديعة الاستثمار في القطاع السياحي، حيث اثبتت المؤشرات والمعطيات الواضحة هشاشة وضعف هذا الاعتقاد واعتماده على التوقعات والتخمينات غير العلمية، من قبيل محاولة ربط احد القطاعات الاقتصادية الوطنية بتحولات سياسية غير واضحة المعالم في الوقت الذي تشرع فيه الدولة بالتخلي عن وظائفها الاقتصادية والاجتماعية، ونلمس معالم هذه الحالة فيما يلي:

البيانات الرسمية تعتبر الوافدين من العمال العرب ومسافري الترانزيت ... سوّاحاً

اولا: لقد حاول المسؤولون الاردنيون إقناع الشارع الاردني بان مستقبل الوطن مرتبط بالسياحة، وتمت عملية واضحة من الترويج الداخلي ضمن أطر الصالونات الاقتصادية هدفت الى تركيز الانظار على منطقة البتراء بالتحديد، والتأكيد تارة على انها «بترول الاردن» وبانها «كنز الاردن» الذي لم نكشف عنه بعد، تارة اخرى، وبدا ذلك مع مطلع التسعينات في حالة الزيارات المتكررة لكبار المسؤولين ورجال الاعمال الى المنطقة ونشر الاخبار والتقارير عن حجم استثمارات كبيرة سوف يتم القيام به، حتى تشكل ما يشبه الحمل الكاذب.

ثانيا: لقد مارس المسؤولون الرسميون تنفيذ مسلسل من الدعاية الرسمية التي كانت تشير الى مستقبل زاهر للسياحة وتعطي ارقاماً مضللة عن اعداد القادمين وعن التوقعات الرسمية حملت الكثير من المغالطات احياناً والكثير من التناقضات احياناً اخرى، وباستعراض لبعض الامثلة المتاخرة نجد على سبيل المثال لا الحصر:

- بتاريخ ١٩٩٦/٥/٢٥: معالي وزير السياحة يصرح لصحيفتي «الراي» و«الدستور» بان نسبة الزيادة في السياحة الاسرائيلية لعام ١٩٩٥ عن عام ١٩٩٤ بلغت ٢٢٪ وان كل الدراسات والاستطلاعات تؤكد ان زيادة كبيرة سوف تحصل في اعداد الزائرين في السنوات القادمة.

وتجاهل الوزير ان هذه الزيادة جاءت من اعداد الزائرين لمرة واحدة (عرب اسرائيل) وسياحة «اليوم الواحد».

- بتاريخ ١٩٩٧/١/١٥: اعتمد وزير السياحة على الرقم ذاته الذي يبين اعداد الزائرين من عرب اسرائيل للاشارة الى زيادة عدد السواح لعام ١٩٩٦ عن عام ١٩٩٥، في حين إذا ما استثنينا سياحة «اليوم الواحد» الاسرائيلية، وحسب احصاءات وزارة السياحة، نجد ان هناك تراجعاً في اعداد السياحة الاوروبية بمقدار ٤٤.١٪، وفي التصريح نفسه، يوجه معالي الوزير الدعوة مجدداً للاستثمار في القطاع السياحي!!

- بتاريخ ١٩٩٦/٨/٢٢: وفي جريدة «الدستور» يعلن وزير السياحة بان اعداد السياح الذين دخلوا الاردن مليون و٧٣ الف سائح، علما بان البيانات الرسمية تثبت بان منهم ٥٦٧ الف عربي دخلوا للعمل او للعبور لدول عربية اخرى وبينهم (١٠٠) الف اسرائيلي دخلوا وخرجوا في نفس اليوم، كما ويدعو الوزير الى العمل على ان يكون التسويق السياحي للاردن من داخل الاردن وليس من دول اخرى.

- بتاريخ ١٩٩٦/١٢/٣: يتراجع معالي الوزير ويرى ان هناك تراجعاً في اعداد السياح لعام ١٩٩٦، يبدو ذلك لان حديثه كان موجها لاعضاء جمعية الفنادق الاردنية، الجهة المعنية بدقة الارقام والحقائق.

- بتاريخ ١٩٩٦/٦/٢٠ و١٩٩٧/٦/١٩: في صحيفة «الاسواق» السيد فخري الطوال مدير جمعية الفنادق الاردنية يصرح بان الزيادة كانت محصورة في السياحة الاسرائيلية غير الدائمة، فيما تقوم وزارة السياحة بتكذيب ذلك على ان نسبة الزيادة هي ٤٧٪ من السياحة الاميركية.

- معالي وزير السياحة يصرح لـ«الراي» ان الوزارة عملت على اعداد الدراسات والخطط لتنمية السياحة الصحراوية التي تشهد اقبالا متزايدا، علما بان اصحاب الفنادق طلبوا وفي اكثر من موقع، مثل هذه الدراسات، وكانت احداها لدى اجتماع اصحاب الفنادق بامين عام الوزارة في البتراء في تشرين الثاني العام ١٩٩٦.

- بتاريخ ١٩٩٤/٩/٢٧، ١٩٩٥/٢/٦، ١٩٩٥/٢/٢٧: في صحيفة «الراي» معالي وزير السياحة يقول: ليس هناك خوف من كثرة الفنادق والدعوة للاستثمار.

بيع الاحلام الزائفة!!

ثالثا: لم تقتصر صناعة الاوهام وبيع الاحلام الزائفة من قبل الجهات الرسمية في المجال السياحي على هذا الحد، بل تجاوز الامر ذلك في ظل غياب الحس الوطني والمسؤولية العامة، حتى وقع القطاع السياحي ضحية لفئة محدودة من رجال الاعمال وغياب الجهات الرسمية. ويتضح ذلك من الاوضاع التي بيعت من الخارج كما هو الحال في قضية المدينة الترفيهية في العقبة وغيرها.

اوهام التخطيط ... وانفجار المشكلة

لقد بقي سكان منطقة وادي موسى لفترات طويلة يعتمدون على اقتصاديات هامشية، يحصلون على دخولهم من القطاع العام والقطاع السياحي، الواقع الذي لم يوفر فرصا لظهور رؤوس اموال كبيرة تعد للاستثمار والمبادرة في ايجاد مشاريع كبيرة، وفي ضوء التحولات السياسية السالفة الذكر والحاح الخطاب الرسمي للحكومات المتعاقبة حول مستقبل السياحة ومدى اهمية زيادة الغرف الفندقية في البتراء، كان ابناء المنطقة امامُ خيارات صعبة إما بيع اراضيهم لمستثمرين كباراً من خارج المنطقة، او المغامرة بالبحث عن مصادر تمويل من البنوك العامة والخاصة بهدف الاستثمار في أراضيهم وتوفير مستوى العيش الكريم والمناسب لابنائهم وعائلاتهم!! وبناء على استمرار تحريض الاجهزة الرسمية بضمان مستقبل المنطقة، وذلك من خلال بعض الاجراءات نذكر منها:

- تاسيس مجلس إقليم البتراء بهدف إعادة تنظيم المنطقة ورفع سوية الاداء التنظيمي.
- اعتماد هيكل تنظيمي لمجلس الاقليم وربطه بوزير السياحة.
- اجراء دراسات لاستخدامات الاراضي في وادي موسى وتصنيف استخدامها لاغراض سياحية فقط مثل منطقة (الدارة) وباحكام خاصة.
- قيام مجلس الوزراء باعتماد منطقة البتراء منطقة استثمار سياحي فئة (أ)، في حين تم تصنيف العقبة فئة (جـ).

وفي ضوء هذه المعطيات بدات الاستثمارات الصغيرة من قبل ابناء المنطقة بالظهور، وبقروض شخصية احياناً وقروض استثمارية احياناً اخرى، والملفت للانتباه هو السلوك الذي اتبعته البنوك والمؤسسات النقدية، التي بدات توزع الاموال هنا وهناك دون أن تطلب دراسات جدوى اقتصادية للمشاريع، والاغرب من ذلك ان بعض البنوك قام بتقديم تسهيلات مالية تصل الى (١٠٠) الف دينار لبعض الاشخاص وبدون اية ضمانات مما زاد الامر تعقيدا فيما بدات هذه الاغراءات تشعر هؤلاء المستثمرين الصغار بانهم مقدمون على نجاحات منقطعة النظير. لقد ازدادت الاغراءات وازداد التورط في الوقت الذي بدأت تظهر فيه حقيقة الارقام الزائفة وطبيعة الحمل الزائف الذي حملته لنا بشائر التحويل السياسي في المنطقة. وذلك بان استصدر احد البنوك امراً بالحجز على اغلب المستثمرين من ابناء وادي موسى.

ومن هنا بدات تتراكم الديون واخذ الوضع السياحي العام يزداد سوءاً يوماً بعد يوم، اصبحت الارقام خيالية في بعض الحالات، ويمكن التدليل على ذلك بمديونية (١٥) شخصاً من ابناء وادي موسى استطعنا ان نحصل على حجم مديونيتهم موزعة حسب المؤسسات الدائنة كما في الجدول:

علما بان هذا المبلغ هو اصل رأس المال دون الفوائد والعمولات.

ان المعادلة السائدة اليوم في قطاع الاستثمار السياحي في البتراء، وفيما يخص ابناء المنطقة هو ازدياد الديون وتراكم الفوائد وتعرض هذه الاستثمارات واصحابها للملاحقة القانونية لعدم قدرتهم الوفاء بالتزاماتهم، وفي الجانب الاخر تضاؤل مستمر وتراجع واضح في الحجم السياحي واستمرار منافسة محمومة من قبل كبار المستثمرين الذين جاءوا من خارج المنطقة وذلك لحصولهم على اعفاءات ضريبية وتسهيلات بنكية ضخمة تؤهلهم لضرب الاسعار والبيع باسعار اقل من المستثمرين الصغار، وهذا يعني ما يلي:

- توفير حزمة من المشاريع الاقتصادية الضخمة لمستثمرين كبار والتي اعتمدت على رأس المال الافتراضي بضمانات معتدلة من الدولة.
- إن تلك المشاريع تشغل حوالي ١٠٠٠ مواطن من مختلف مناطق المملكة، معرضين حالياً لفقدان أعمالهم.
- ان فشل هذه المشاريع سيضع نهاية يائسة لمستقبل السياحة في البتراء، بعد ان يفقد الجميع الثقة بالاستثمار في هذه المنطقة.

نتبين من كل ما سبق ان هناك قضية وطنية كبيرة في وادي موسى والبتراء بدأت مع بدايات السلام، وتفاقمت بعد تواقيع اوسلو، ليصبح ابناء وادي موسى أمام تحد كبير تقع ملامحه فيما يلي:

١- حجم المديونية الضخم

٢- انخفاض عدد السياح وموسمية زياراتهم

٣- ظهور ما يعرف بـ«السياحة اليومية»

٤- عمل المستثمرين الكبار على ضرب الاستثمارات المحلية الصغيرة بشتى الوسائل.

٥- عدم قبول المستثمرين الاردنيين الدخول لمشاركة المستثمرين الصغار او ضمان استثماراتهم.

٦- محاولة بعض المستثمرين السياحيين اليهود شراء هذه الاستثمارات وباسعار بخسة.

٧- من خلال مطالعة قانون تشجيع الاستثمار نجد انه لجميع فئات الفنادق الحق في الاستفادة من الاعفاءات الجمركية والضريبية ولكن قام مجلس الوزراء بالمصادقة على نظام يحرم الفنادق دون الثلاث نجوم من اية اعفاءات ضريبية وجمركية لتقوية موقف الفنادق الكبيرة في ضرب الفنادق الصغيرة العائدة ملكيتها لابناء وادي موسى.

٨- قام ابناء وادي موسى بالطلب من وزارة السياحة مرارا وتكرارا اعادة تصنيف الفنادق اسوة بفنادق المملكة وكان اخرها في الاجتماع الذي تم بين ابناء المنطقة وعطوفة الامين العام لوزارة السياحة الذي وعد باعادة النظر في التصنيفات، وللاسف تم ذلك بشكل غيابي ومن خلف مكاتب وزارة السياحة دون الكشف الميداني الحقيقي.

٩- عدم مشاركة ابناء وادي موسى في لجنة تنشيط السياحة الخارجية.

١٠- ارتفاع اسعار المياه، وعدم وجود نظام صرف صحي، مما يضطر المشاريع السياحية الى سحب هذه المياه بكلفة تصل ثلاثة دنانير للمتر المكعب الواحد بالاضافة الى سعر شراء المتر من سلطة المياه.

المطالب

ان الموقعين على هذا التقرير والذين يشكلون الفئة المتضررة من أحوال الاستثمار السياحي في منطقة البتراء ووادي موسى وفي ضوء ما عرض سابقا يطالبون الجهات الرسمية بضرورة ما يلي:

اولا: ان تقوم الدولة بمبادرة لاخذ قرض دولي بفوائد بسيطة وشروط ميسرة لسداد البنوك التجارية يقوم المستثمرون بسداده للدولة بفائدة لا تزيد على ٦٪.

ثانيا: العمل على اعفاء المقترضين من بنك الانماء الصناعي من الفوائد المترتبة عليهم او تقليصها.

ثالثا: على الحكومة ان تضع حدا لممارسات احد البنوك التجارية بالسرعة القصوى ووقف الحجوزات التحفظية على الممتلكات في وادي موسى وتشكيل لجنة للتحقيق في ذلك.

رابعا: العمل على ايجاد الخطط اللازمة لتنظيم القطاع السياحي ورسم خطط واضحة تعطي تصورا مستقبلياً لما بعد عام ٢٠٠٠.

خامسا: العمل على وضع الحلول اللازمة لانهاء مسلسل السياحة اليومية وتحديد فترات فتح المعبر الجنوبي وتقليص ساعات دوامه.

سادسا: اعتماد نظام تصنيف المنشآت السياحية لكل المنطقة الاردنية على نفس القدر من المساواة والعدالة.

سابعا: وضع قطاع الاستثمار السياحي في وادي موسى، قطاعا تحت حالة طوارىء، وذلك للظروف الراهنة التي لا تحتمل التأجيل.

ثامنا: مساواة المستثمرين الصغار بالكبار وذلك باعطائهم، فترة سمَاح كافية من ضريبة الدخل، وحقهم في تشجيع الاستثمار، والعمل على تعديل تصنيف منطقة وادي موسى لتصبح من فئة استثمار (جـ) لكي لا يكبر الكبير ويتلاشى الصغير.

تاسعا: تخفيض اسعار المياه والعمل على تنفيذ نظام الصرف الصحي بالسرعة القصوى.

عاشرا: تحديد الحد الادنى لاسعار الفنادق المصنفة ثلاث نجوم فما فوق والزامهم بذلك.

حادي عشر: مشاركة ابناء وادي موسى في تخطيط وتنفيذ التسويق السياحي.

«البتراء» ... اصبحت كنزاً للسياحة الاسرائيلية ... وصناعة السياحة الاردنية ... تنهار!!

المستثمرون الصغار يطالبون باعلان حالة الطوارىء في وادي موسى والبتراء

قيمة الدين	المؤسسة الدائنة
[illegible]	بنك الانماء الصناعي
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]

«الميثاق» تدعو اليسار الاردني الى قراءة هذا المقال

مقال

المشروع الصيني ... الوطني والاجتماعي

ان الصين، وعلى خلاف اوروبا الشرقية، بما في ذلك الاتحاد السوفياتي، حافظت في عالم مازوم، على نمو اقتصادي تصاعدي، وعلى تحسن في ظروف معيشة سكانها، وعلى نظام اجتماعي وسياسي مستقر. لذا من المهم عرض وتحليل الاسباب الداخلية والخارجية، التي انتجت هذا الوضع. ولاظهار خصوصية الصين، التي تغوض جذورها في التاريخ، من المهم مقارنتها بالاتحاد السوفياتي منذ انطلاقة المسيرة الثورية، الامر الذي يتيح ابراز الوقائع التاريخية المرتبطة بالطبقات الاجتماعية وبالمناطق الاجتماعية – الاقتصادية التي تساعد في فهم افضل للفلسفة التي كانت اساس النموذج الصيني. كما ان الخصائص المعاصرة الاكثر اهمية لاعادة اندماجها في السوق العالمية، مدونة، مما يتيح فهم التوجه العام للمشروع الحالي والتوجهات المستقبلية، وكذلك التناقضات والنزاعات التي تنتج منها.

بماذا يهمنا المشروع الصيني الوطني والاجتماعي؟!

اولا لكي نفهم صيرورة التحول في الدولة التي ستصبح القوة العظمى الثانية في الثلث الاول من القرن المقبل.

وثانيا لكي نقرأ في المشروع الصيني، بديلا للتنمية الوطنية يدمج ما بين الهيمنة الوطنية على الاقتصاد والعلاقات الخارجية، الاقتصادية والسياسية، وما بين اليات السوق والقطاع الخاص.

انه بديل له مشاكله ومظالمه الخاصة به – وهي مشاكل ومظالم بيّنها المقال الذي نشرته «الميثاق» في العدد السابق نقلاً عن لوموند دبلوماتيك

ومع ذلك فهو بديل معقول ومنتج واكثر اهتماما بالمصالح الوطنية وبمصالح الطبقات الشعبية اذا ما قارناه بالبديل النيوليبرالي الذي يطالب دول العالم الثالث، بتفكيك نفسها، والاندماج من موقع المستعمرات، في السوق العالمي؛ مما لا يؤدي فحسب الى فقدان شروط السيادة الوطنية، بل وبسبب ذلك الى فقدان الشروط التي تكفل الحد الادنى من العدالة الاجتماعية.

هنا مقال المفكر العربي الكبير، الدكتور سمير امين، بعنوان «المشروع الصيني الوطني والاجتماعي» يوضح هذه المسائل وربما كان امين خير من يوضحها، لا على المستوى العربي فقط، ولكن على المستوى العالمي ايضا.

ان الصين التي ترفض علاج الصدمة «النيوليبرالي» المطبق في بلدان اوروبا الشرقية، اتجهت نحو فرض رقابة تامة للدولة الحزب على العلاقات الخارجية في ما يتعلق بمسار لامركزية الملكية العامة، وبنظام اسعار يتيح تنظيم السوق من خلال الخطة المعدة، وكل ذلك يهدف الى تحقيق عدالة اجتماعية افضل، وتوازن بين المناطق.

مشروع مختلف

لقد دخلت الصين منذ ١٥ عاما في طور من النمو الاقتصادي المتسارع - ١٠ في المائة سنويا - الذي يستتبع بالتاكيد على مستوى هذا البلد الذي يبلغ تعداد سكانه ١٢٠٠ مليون نسمة، تعديل جميع التوازنات الدولية القائمة. الى ذلك، فان هذا التطور يجري في وقت يعاني الغرب الراسمالي (ومن ورائه قسم كبير من العالم الثالث) من ركود حاد، في حين ان بلدان العالم السوفياتي سابقاً دخلت في حلقة مفرغة لا يزال مخرجها مجهولا

لماذا إذاً يحقق، ما يصنف بانه خيار راسمالي، للصين الماوية سابقاً نتائج سريعة جدا ولامعة، في حين ان تحول اوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي سابقاً الى الراسمالية مؤلم وقليل الفاعلية؟! ولماذا يلاحظ ان هيكليات ازدهار الصين المعاصرة مختلفة جدا عن هيكليات عصر الازدهار الستاليني؟!

لنتطرق بداية الى سلسلة اولى من الاسئلة المتعلقة بالمقارنة بين التصورات السياسية والاقتصادية الخاصة بالعالم السوفياتي سابقا، وبالصين الماوية سابقا. وسوف الخص هذه المقارنة من خلال التاكيد الجازم على ما يلي: ليس هناك في اوروبا الشرقية (وفي الاتحاد السوفياتي سابقا) تصور للتحول الذي شرع فيه، كما ليس هناك مشروع مجتمع. صحيح ان هناك ايديولوجيا، هي ايديولوجيا الراسمالية المبتذلة، ولكن ليس هناك مشروع متماسك يسعى الى اقامة المجتمع الجديد بمختلف جوانبه، وان يكن راسمالياً. في المقابل، هناك في الصين مشروع متكامل تماماً. وبرايي ليس هذا المشروع بالتاكيد مشروعا اشتراكيا، بل ارى انه مشروع راسمالي وطني واجتماعي فاليسار الاشتراكي الصيني قد حدد لنفسه كهدف تغيير مشروع السلطة القائمة لادراجه في عملية انتقالية اشتراكية طويلة.

انا اقول ان المشروع وطني. اقصد بذلك مشروعا يرتكز على الاقتناع الراسخ بان الاندماج في النظام العالمي ليس سلمياً ابداً، بل يكون دائماً عنيفاً وتصادمياً. والفريق الحاكم في الصين كله ومن ورائه المجتمع الصيني يشاطرون عموماً هذا الاقتناع. فعلى سبيل المثال، لا يؤمن احد هنا بنمط الخطاب الذي

□ الصين لم «تخصخص» لحساب البرجوازية، وانما لحساب البلديات والنقابات والتعاونيات
□ بماذا يهمنا «المشروع الصيني الوطني والاجتماعي»؟

طرحه غورباتشيف في عهده والذي ينتهجه حسبما يبدو، قسم كبير من الفرق الحاكمة والسياسيين في شرق اوروبا، اذ قد يكون هناك وفقا لهذا الخطاب، توافق طبيعي بين منطق ازدهار الراسمالية على المستوى العالمي، ومنطق اندماج مختلف البلدان في هذا الازدهار. في المقابل، ينظر الفريق الحاكم الصيني الى الولايات المتحدة باعتبارها الخصم، وهو خصم مؤهل لان يصبح اشد قساوة تبعاً لنجاحات الصين. وعلى هذا الصعيد، يجب التذكير بمقالة صامويل هانتنغتون الشهيرة (صدام الحضارات) التي يحاول فيها هذا الايديولوجي، تبرير الخيار السياسي الاميركي المدعو لان يصبح اشد عداء للصين على نحو علني، بما ان الصين تمثل تهديدا، ليس من خلال نموذج اشتراكيتها، ولكن ببساطة لانها قوة كبرى صاعدة.

دينامية نمو لا تعتمد على التصدير

اما في ما يتعلق بدينامية النمو الاقتصادي في الصين، ومن دون الدخول في التفاصيل المعروفة، فاني الفت النظر اولاً الى ان معدلاته مذهلة نسبيا، وان بعض معدلات النمو تتحقق على حساب المدى الطويل. والمهم برأيي هو ان يدرك، وخلافا لما يقال في اغلب الاحيان، ان معدلات النمو لا تُحقق - اساساً - من خلال الصادرات. فقد كان معدل نمو الصادرات ١١.٥ في المئة سنوياً في الثمانينات، مقابل ٩.٧ في المئة لمعدل الناتج المحلي الخام (PIB). غير ان معدل نمو الصادرات في البلدان التي قدمها البنك الدولي كمثال على انها «نجحت لانها منحت الاولوية للمنتجات المعدة للتصدير»، كان عموما ضعف معدل نمو الناتج المحلي الخام

ثمة خصائص اخرى للنمو الصيني تتناقض مع خصائص بقية بلدان العالم الثالث. فقد ظل التضخم متواضعا في الصين (٥.٨ في المئة في الثمانينات) مقارنة بما كان عليه في المتوسط السنوي في كل بلدان العالم الثالث (معدلات تصل الى ١٤.٩ في المئة كمتوسط سنوي بالنسبة الى البلدان الفقيرة، وتدور حول ٧٣ في المئة بالنسبة الى البلدان ذات الدخل المتوسط، والتي غالبا ما يطرحها البنك الدولي كمثال!). كما ان مديونية الصين الخارجية ظلت دون ما هي عليه بكثير بالنسبة الى جميع مناطق العالم الثالث الاخرى. صحيح ان حصة خدمة الدين نسبة الى عوائد التصدير ارتفعت من ٦.٤ في المئة في عام ١٩٨٠ الى ٩.٨ في المئة في عام ١٩٩٠ بالنسبة الى الصين، ولكن هذه النسبة المئوية كانت على التوالي بالنسبة الى الهند ٩.١ في المئة، و٢٦.٤ في المئة، وبالنسبة الى بقية البلدان الفقيرة ١١.٤ في المئة و٢٧.٤ في المئة، وبالنسبة الى البلدان ذات الدخل المتوسط ٢٦.١ في المئة و٢٣.١ في المئة.

ان هذه المعطيات المحدودة الاجمالية تبرز بالتاكيد نجاح مشروع التنمية الصيني الذي يبرر ايجابيا المقارنة مع مشاريع التنمية في بقية بلدان العالم الثالث، من دون ان يتاح لنا لهذا السبب تحديد طبيعته (راسمالي او اشتراكي) او مناقشة الافاق والحدود التاريخية الممكنة.

بين الصين ... والاتحاد السوفياتي

لنعد الان الى المقارنة بين الصين والاتحاد السوفياتي سابقا. ان لدينا هنا بلا ريب عناصر مشتركة تتعلق بإرث مشترك، وهو ذاك الذي بنته الامية الثالثة (البلشفية والماركسية – اللينينية)؛ وكذلك ايضاً اختلافات تتعلق بالظروف التاريخية لتطور الحزبين الشيوعيين الثوريين.

ان المسالة المركزية التي دارت حولها النقاشات في روسيا منذ عام ١٩١٧ كانت مسالة الحلف العمالي والفلاحي، كشرط ووسيلة لتطور القوى المنتجة التي قد تندرج في منظور البناء الاشتراكي. وكان يتوقف على الجواب عن هذا السؤال اكثر من النجاح او الفشل بحد ذاته في تحديث بلد متخلف ذي اغلبية فلاحية، المضمون الاجتماعي لهذا النجاح المحتمل والافاق التي يمكنه فتحها او اغلاقها. الا ان الخيار المعتمد في نهاية المطاف، بدءا من عام ١٩٣٠، والمستند الى شكل من اشكال تطبيق النظم الجماعية، والذي يقضي على هذا التحالف.

كما امكن ملاحظة ذلك منذ زمن طويل، لم يضع فحسب حداً للامال من منظور اشتراكي (من خلال تعزيز الاستبداد، اساس بناء طبقة تطمح الى ان تصبح بورجوازية)، وانما قلص ايضاً على الارجح امكانيات تطور القوى المنتجة. ان هذا الخيار السيء الذي ابديت رأياً في خصوصه في كتابات سابقة، كان نتاج الايديولوجيا العمالية – الناهضة للفلاحين – الموروثة من تاريخ الطبقة العمالية في اوروبا الغربية البورجوازية (ومن الامية الثانية) والتي كان لينين يتبناها (وان كان قد خفف من اثارها عبر التحالف مع الاشتراكيين الثوريين الذين كانوا اغلبية في الارياف عام ١٩١٧) قبل ان يتبناها ستالين.

اما الحالة الصينية، فانها مختلفة جدا فالحزب الشيوعي في الصين كما في روسيا هو اساساً حزب النخب المثقفة اكثر منه حزب العمال، ويعمل في ظل ظروف لا تزال الطبقة العمالية فيها اقلية. لكن هذا وذاك اللذين هما حزبا النخب المثقفة، كانا قادرين على حشد الطبقة العمالية والفوز بنفوذ قوي جداً في اوساطها. والاختلاف بين الحزبين هو انه بينما لم يبن الحزب الشيوعي الروسي سنداً له في الريف قبل عام ١٩١٧، فان الحرب التي اندلعت بدءا من عام ١٩٣٠، في الارياف الصينية، اتاحت للحزب الشيوعي الصيني بناء هذا السند. ثم ان الثورة الصينية، وعلى رغم التقلبات التي يمتد تطورها منذ عام ١٩٤٩ وحتى يومنا هذا، اوجدت لاحقاً حلاً لمسالة التحالف العمالي - الفلاحي اقل ضرراً من الاخرين، والاتحاد السوفياتي تحديدا، اذ ان مصطلحات التبادل الداخلي الزراعي – الصناعي لم تشهد قط في الصين التطورات المأسوية التي توسم تاريخ الاتحاد السوفياتي.

ثم اختلاف مهم اخر يميز بين الثورتين، وهو ان روسيا الغت تماماً البورجوازية. اما في الصين، فان الحال مختلفة، اذ ان الحرب ضد الامبريالية اليابانية افضت الى ان يمثل الحزب الشيوعي الصيني بدءا من الثلاثينات، عامل جذب قوي جدا بالنسبة الى كل قوى المقاومة الوطنية، بما في ذلك البورجوازية وكان الانضمام الكثيف للمثقفين والبورجوازيين الى الحزب الشيوعي قد تم بفعل هذا السبب اكثر من اي شيء اخر.

ان تضافر مجمل هذه العوامل التاريخية يظهر القوة التي تبلور بها مشروع مجتمع حداثوي ووطني واجتماعي في الصين؛ ان عبارة «وطني» هنا هي صفة ايجابية، ليس لانها تنطوي على رؤية واقعية فحسب (اي معادية للامبريالية) وللراسمالية العالمية الموجودة حقيقة. وانما لانها تجبر على تصور بناء شرعية السلطة على اسس تفرض مسؤوليتها الاجتماعية. انا لا اقول اشتراكية – الامر الذي يستتبع برايي تحولاً جذرياً في علاقات الانتاج والعلاقات الاجتماعية كما حللها ماركس – ولكن اقول اجتماعية بمعنى انه يجب الادراك بان التنمية تستند الى تضامن اجتماعي حقيقي يتحقق بفعل سياسات منهجية يمكن تصنيفها بالعدالة الاجتماعية (عمل وخدمات اجتماعية واعادة توزيع الدخل ...الخ). ان المشروع الوطني الاجتماعي الصيني على هذا الصعيد هو، على نحو ما، نظير ما هي عليه المشاريع الاجتماعية الديمقراطية في الغرب.

ان هذه الفكرة تفسر لماذا لا تمارس النظرية الليبرالية سوى اغراء محدود في الصين، اذ لا يؤمن احد هنا بغباء، بان السوق تسوي طبيعياً كل المشاكل. وثمة مفارقة طريفة هنا الايديولوجيا الليبرالية هي اقل تبرراً حيث البورجوازية اقوى (كما في الصين)، مقارنة باوروبا الشرقية حيث البورجوازية اضعف؛ لكن هذه المفارقة ليست إلا ظاهراً برايي، لان الاختلاف يبرر بشكل طبيعي جدا عبر تمفصل ايديولوجيا - طبقات ومصالح اجتماعية حقيقية، وعلى النحو نفسه، فان الايديولوجيا الليبرالية في اسيا الشرقية الراسمالية (حيث البورجوازية قوية جدا)، ليست معتمدة الا بمعدل النصف، في حين انها تفرض نفسها في مناطق العالم الثالث حيث

□ التحول الرأسمالي ... لماذا أدى إلى إنقاذ الصين وإلى انهيار الإتحاد السوفيتي؟
□ هناك فرق حاسم بين المشروع المجتمعي - وإن يكن رأسماليا - وبين سيادة الأيديولوجيا الرأسمالية المبتذلة

البورجوازية الاكثر ضعفاً.

وحيث إن هذا هو القاسم المشترك، فلا يمكن ان يستهان به، وهو ليس احمالاً إرث الامية الثالثة فحسب، ولكنه ما وراء هذه. إرث كل حركة عمالية اوروبية، وتحديداً الماركسية التاريخية والامية الثانية (ما قبل ١٩١٧). لقد ذكرت مراراً ان انغلز الذي اجرى نقداً لمفاهيم الحركة العمالية هذه، خلص الى انها تلهم بناء راسمالية من دون راسماليين اكثر مما تلهم بناء الشيوعية. وتمثل التصورات الخاصة بحياد تقنيات الانتاج، وبالدور الطليعي للحزب، وبعلاقات دولة – حزب – طبقة – شعب، وبكثير من الامور الاخرى، هذا الإرث المشترك. وفي حين ان الاتحاد السوفياتي لم يطرح ابداً هذا الامر على بساط البحث، فان ماوتسي تونغ حاول ان يقوم بذلك من خلال الثورة الثقافية، على الاقل في ما يتعلق بنقطتين اساسيتين: حياد التكنولوجيات المطروحة على بساط البحث، والحزب الاستبدادي المحدد كحصن يعاد بناء البورجوازية داخله. لكن الثورة الثقافية فشلت، وذلك بلا ريب لانها لم تتوصل الى اكتشاف وبناء العنصر الاجتماعي القادر على قيادة تحركها، وجرى استبداله بمقولة «الشباب» المبهمة.

«ماو» في صين ما بعد «ماو»

يبقى انه اذا كانت الصين ما بعد ماو قد تراجعت في ما يتعلق باهداف ماو الاشتراكية، فانها ظلت تتمسك بمشروع وطني واجتماعي، من دون اوهام كبرى حول السوق والراسمالية العالمية.

لذا عندما يقال – كما يفعل البنك الدولي ووسائل الاعلام المهيمنة – ان نجاح الصين منذ عام ١٩٨٠ مرده الى انها تخلت عن الاشتراكية، مما اتاح لها الخروج من الجمود الماوي ...الخ، فانه لا يجري تبسيط للامور بشكل مهين فحسب، وانما يحال ايضاً دون فهم الاسباب الحقيقية لهذا النجاح، وذلك لانه من دون البنية التحتية الاقتصادية والسياسية والايديولوجية التي جرى بناؤها في الثلاثين سنة من الماوية (١٩٥٠ – ١٩٨٠) لن تُفهم جيداً طبيعة تسريع الوتيرة في الخمسة عشر عاما المنصرمة، لان الامر لناحية مصطلحات النمو يتعلق بتسريع الوتيرة.

لقد سجلت الصين في الفترة ١٩٥٧ – ١٩٧٥ معدل نمو يبلغ ٥.٣ في المئة من الناتج المحلي الخام (PIB)، اي ٣.٢ من PIB للفرد الواحد (مقابل اقل من ٢ في المائة في بقية بلدان العالم الثالث)، كما انها سجلت معدلات نمو قياسية في الصناعات الخفيفة (١١.٢ في المائة) والثقيلة (٨.٣ في المائة). ومنذ ذلك الوقت، اقامت الصين هيكليات اجتماعية تضمن توزيعا للدخل افضل بكثير (اي اقل فسادا) من اي مكان اخر: في الهند وافريقيا او في اميركا اللاتينية. ومن دون هذه الانجازات، لكانت المعجزة الحالية غير واردة، اذ ان الهند التي لم تستفد من عمليات اعادة بناء مشابهة، مع انها رأسمالية ومنفتحة على النظام العالمي اكثر من الصين، لا تزال تحقق معدلات اقل على كل الاصعدة في مجال الفاعلية والعدالة الاجتماعية او الاستقلال

واذا كانت صين دينغ قد قررت الاندماج مجددا في النظام العالمي، فانها رفضت قطعيا علاج الصدمة الشهير هذا، والذي يمكن من دون شك تلخيصه بثلاث عبارات: خصخصة الى حد التفريط، وحرية بلا قيود على الاسواق، وانفتاح خارجي بلا رقابة اما اوروبا الشرقية التي اعتمدت فرقها الحاكمة المتحدرة من كوادر الحزب الحاكم السابقين علاجات الصدمة، فقد دخلت كما هو معلوم، في حالة من الجمود ليست مرشحة للخروج منها قريبا اما الصين فقد رفضت ذلك، وان كانت لا تعترف به دائما

□ الاندماج في السوق العالمي ... ليس سلميا بل تصادمي وعنيف!
□ لم تنجح الصين لانها تخلت عن الاشتراكية بل لانها لم تتخل عن مشروعها الوطني الاجتماعي
□ الصينيون ليسو اغبياء، بحيث يعتقدون بأن «السوق» تسوي المشاكل طبيعيا
□ الشيوعي الروسي لم يستند الى الفلاحين ... ففشل

لاسباب تتعلق بصورتها ازاء الخارج.

الخصخصة على الطريقة الصينية

في الواقع، ان الخصخصة على الطريقة الصينية هي مثابة توزيع للملكية العامة. فبينما كانت الدولة في ١٩٨١ تهيمن على الساحة (توزع الملكية: الدولة ٧٨ في المئة، تعاونيات ٢١ في المئة، قطاع خاص: لا شيء يذكر)، فان حصة الدولة في ١٩٩٠ تقلصت الى ٥٤.٥ في المئة، ولكن لحساب الملكية المشتركة (مقاطعات ومدن وتجمعات نقابية وتعاونيات: ٣٥.٧ في المئة) اكثر منه لحساب القطاع الخاص الذي لا تتجاوز حصته الـ٥.٤ في المئة.

ان نظام الاسعار يمزج بطريقة تسعى لان تكون عقلانية (ولكنها ليست كذلك دوما)، بين مبدا المنافسة في السوق (وبالتالي الحرية) بالنسبة الى المؤسسة لتحديد اسعار العرض، ومبدا التخطيط (تحديد الزامي للسعر او تدخل هيئات عامة في السوق). وفيما كان يسود في الصين في ١٩٧٨ نظام على الطريقة السوفياتية (مع ان النظام الصيني لم يكن ابداً مفرطاً على غرار النظام في الاتحاد السوفياتي. وكان يأخذ دوماً في الاعتبار العرض والطلب في السوق)، فان الاسعار الحرة كانت تتحكم في نصف اسواق المنتجات الزراعية والصناعية الاستهلاكية (لكن ٣٦ في المئة فقط من هذه تتعلق بالتجهيزات والمواد الاولية)

ووفقاً للصيغة المستخدمة في الصين، فان الاصلاحات الاربعة (التي صاغها في حينه شوان لاي) وضعتها موضع التنفيذ سياسة نسمي سياسة الايجابيات الثلاثة التي تتعلق بالعدالة الاجتماعية والتوازن المناطقي والتحكم بالعلاقات الخارجية ويجب الاقرار بان السياسات التي وضعت موضع التنفيذ حتى يومنا هذا، كانت فعالة تقريبا في هذه المجالات الثلاثة.

صحيح ان هناك في الصين اثرياء جددا، تقترن ثروتهم احيانا (لكن ليس دائما) بمبادرات اقتصادية ناجحة، وتفاوتات جديدة يصعب تبريرها بعبارات الفاعلية الاقتصادية (على سبيل المثال بين رواتب وكوادر المؤسسات الخاصة المشاركة مع راسمال اجنبي، ورواتب القطاعات الاخرى)، ولكن ترسخت ايضا – بفعل منطق الاسعار والرواتب – هيكلية قوية متعددة الابعاد تؤمن اعادة توزيع ضخمة للدخل على مستوى ١٢٠٠ مليون نسمة، والتي ليس لها نظير في اي اقتصاد اخر في العالم. والنتيجة واضحة للعيان: على رغم كل الصعوبات وفقر البلاد، ليس هناك فقراء جدد، وفي كل الاحوال ليس هناك ما يمكن مقارنته بما يسود في العالم الثالث الراسمالي مع أو من دون نمو اقتصادي، او مع ما ينتشر بسرعة كبيرة في اوروبا الشرقية.

من ناحية ثانية، ثمة وعي قوي في الصين للتهديدات التي يفرضها التطور اللامتوازن للمناطق على مستقبل وحدة البلاد. والامر لا يتعلق بالوعي فحسب، اذ انه جرى وضع سياسات موضع التنفيذ بفضل مركزة امكانات مهمة (موازنة الدولة لا يمكن الاستهانة بها)، تهدف الى مفصلة الاعتمادات المتبادلة الجديدة بين المقاطعات الساحلية ذات النمو القوي ومقاطعات الداخل ان منطقة شنجهاي كمثال، تعول على نحو منهجي على هذه السياسات، وتتكامل عبر ذلك مع كل الصين الوسطى الداخلية، وصولاً الى سيتشوان في المقابل. ان منطقة اموي كانتون تبقى موجهة نحو التصدير اكثر بكثير. ان هذه السياسات هي فعالة جزئيا على الاقل، اذ لا نجد مقاطعة صينية واحدة لا يكون معدل النمو فيها ايجابياً واعلى من معدل ديموغرافيتها، حتى في المقاطعات الاكثر فقراً. طبعا، ان هذه الانجازات تظل متواضعة جدا بالمقارنة مع معدلات ٢٠ او ٢٥ في المئة التي تحققت في المناطق الاكثر حظوة.

الايجابية الثالثة تتعلق بالانفتاح الخارجي الذي يظل عقلانياً ومراقباً من جانب الدولة. في الواقع لا يمكن اي كان ان يدخل اي شيء بحرية الى الصين وعندما تتهم الولايات المتحدة هنا الصين بانها تتلاعب على قواعد «اللعبة» فانها لا تخترع جديداً. يبقى طبعاً معرفة اذا لم يكن من العدل ما دام رفض ظلم القواعد المذكورة غير ممكن رسمياً، الالتفاف عليها قدر الامكان.

إلا انني اضيف من ناحيتي جانبا سلبياً رابعاً – وكبيراً، الى الايجابيات الثلاث المذكورة اعلاه: يبدو الفريق المهيمن مقتنعاً بان الاهداف المحددة في الايجابيات الثلاث المذكورة يمكن بلوغها فقط من خلال فضائل حسن سير عمل الدولة – الحزب كما جرى بناؤه، ومن دون تدخل مستقل للطبقات الشعبية. وانا اعتقد من ناحيتي ان هذا الامر هو وهم كبير كما اظهر ذلك بوضوح تاريخ الاتحاد السوفياتي.

ما هي طبيعة المشروع الصيني؟

ربما اصبحنا الان على استعداد للعود الى سؤالنا الذي انطلقنا منه: هل هناك مشروع صيني؟! ما هي طبيعته الاجتماعية؟! (راسمالي، اشتراكي، طور في الطريق الاشتراكي)، وكيف يتمفصل مع الاقتصاد العالمي والاقتصاد المنطقة؟!

نعم هناك مشروع للفريق الصيني المهيمن. من ناحيتي، ومع الاخذ في الاعتبار تحديداً الايجابيات الثلاث والناحية السلبية المذكورة، فانني اصنفه بالمشروع الوطني والاجتماعي. ما هي إذاً تناقضاته ومشاكله وامكانات نجاحه ومخاطر فشله، وامام اي مستقبل يفتح الباب؟

ثمة تقليد معين يجهد لتحليل مشاكل الصين بعبارات الصراعات الاقليمية وبطريقة ما يمكن الجمع بين المناطق وانماط الانتاج (وبالتالي الطبقات المحلية المسيطرة): الشمال الاقطاعي والبيروقراطي، وشنجهاي الراسمالية الوطنية، وكانتون الكومبرادورية: ان المشروع الصيني الجاري يمزج بين هذه العناصر الثلاثة عبر الحفاظ على دور الوجه البيروقراطي للدولة – الحزب. وهذا لا يعني انه يمكنها القيام بذلك الى الابد. الم تتوصل البورجوازية الوطنية الى اختراق الجهاز، من خلال تقاطعها مع البيروقراطيين المنغمسين في الاعمال والفاسدين – لدرجة انها جعلت من الدولة دولتها؟ اليس تهميش التدخل المستقل للطبقات الشعبية ذا طبيعة تسهل هذا التطور نحو اشكال اكثر وضوحا من الراسمالية؟

يمكن حتى تصور سيناريو اشد قبحاً: فاذا ما استمرت تفاوتات النمو الاقليمي في الاتساع، الا يشكل ذلك الاساس لتفتت البلد (وهو ما سبق ان حدث في تاريخه الطويل، ويجب الا ينسى هذا الامر). عندئذ، يمكن تصور جنوب متمفصل حول كانتون – هونغ كونغ – تايوان، ومنفتح على الباسفيك وصيني الشتات ذوي الميول الكومبرادورية الى حد كبير. فهل ستجد هذه المنطقة مكملها (سندها) او منافسها في الصين الوسطى، شنجهاي ووهان؟ يمكن تصور مقاطعات الشمال الغربي مهمشة، والتيبت وسنكيانغ مستقلين. إلا ان مشروع التفكك الصيني هذا هو من مواضيع الساعة: انه على جدول اعمال سياسة الولايات المتحدة الاميركية واليابان اللتين تمثل الصين القوة الكبرى (وان تكن راسمالية) احتمالاً غير مقبول بالنسبة اليهما.

طبعاً، ان الصين الموحدة او المفككة ستحتل في مجمل اسيا الشرقية، ومن ورائها في الاقتصاد العالمي، مواقع مختلفة: فاما ان تصبح الصين قطب جذب اساسياً، واما ان تشارك مقاطعاتها في ازدهار منطقة دينامكية بالتاكيد، ولكنها غير قادرة على ان تشكل نداً لهيمنة الولايات المتحدة على المستوى العالمي.

اشتراكية السوق؟!

ولكن يمكن ايضاً تصور تطور افضل لتقدم الاشتراكية في الصين وفي العالم. فضلاً عن ذلك، فان السلطات الصينية الرسمية لا تصنف مشروعها الخاص بانه راسمالي (وان يكن وطنياً)، بل تصنفه بانه «اشتراكية السوق». المهم هنا ليس اجراء تحقيق معمق في ما يتعلق بعدم واقعية المواضيع المطروحة او بتطوير خطاب لفظي او ميتافيزيقي يتعلق بتعريف الاشتراكية. إنني اقترح طريقة للتحليل مختلفة تركز من ناحية على النضالات الاجتماعية والسياسية والايديولوجية التي تنتشر في الصين نفسها، وتنقل الجدال من ناحية اخرى الى صعيد مناقشة تحديات الانتقال الطويل من الراسمالية العالمية الى الاشتراكية العالمية.

ليس هناك اي سبب لتجاهل دينامكية الصراعات التي تظهر في الصين. ولا شك ان الوقائع الاكثر وضوحاً للعيان – خصوصاً بالنسبة للمراقب الاجنبي – تقترن تقريباً بصعود البورجوازية: فضائح واثراء وفساد ومشاركة مع الراسمال الاجنبي وتدهور خلقي او ثقافي .. الخ وعلى صعيد اخر فان وسائل الاعلام الدولية تسلط كل اضوائها على المواقف المؤيدة للديمقراطية السياسية كما يُفهم ذلك في الغرب (حقوق الانسان والتعددية). وهنا يمكن التساؤل عما اذا ما كان هذا المطلب بهذا الشكل يثير اهتمام غير الافراد. لان البورجوازية الصينية لا تولي اهمية للديمقراطية على ما يبدو (اليس اكثر من بورجوازيات اسيا الشرقية في الراسمالية كلها)، في حين ان النقاشات والتحركات الشعبية تتمحور، حسبما يبدو، في الوقت نفسه حول مجال الحقوق والمكاسب الاجتماعية المختلفة، واحيانا حول منظور الديموقراطية الاشتراكية الاكثر تقدما. والامر الاساسي هنا برايي، هو ما يجري واقعاً في هذه المجالات

الا انه لا يمكن البقاء عند هذا الحد. واود ان اقول ان النقاش المتعلق بمستقبل الاشتراكية في الصين لا يمكن عزله عن النقاش المتعلق بالمستقبل العالمي. وقد كان تقليد الامية الثالثة قد حدد على طريقته مصطلحات التحديات، وأجاب عبر نظرية بناء الاشتراكية في بلد واحد وفي فترة تاريخية قصيرة. وقد أظهر التاريخ ان هذا البناء ظل على الاقل مبهماً في طبيعته، ويمكن الرجوع عنه تماما. لذا اقترحت فتح النقاش مجدداً في ما يتعلق بالانتقال الطويل للراسمالية العالمية الى الاشتراكية العالمية من خلال إعادة تعريف المصطلحات، والمقصود هو اعتبار الانتقال الطويل ليس كمرحلة تتسم بالتقارب (الجغرافي) للانظمة الاجتماعية المختلفة، ولكن باعتبارها تتسم بالصراع داخل كل المجتمعات بين عناصر النظام التي تستمد عقلانيتها من المنطق الراسمالي، وبين عناصر اخرى تطور معايير عقلانية اجتماعية اخرى ذات طبيعة اشتراكية. وكما تطورت الراسمالية في ظل الاقطاعية قبل ان تكسر غلافها، فان الاشتراكية قد تتطور في مرحلة اولى طويلة في كنف الراسمالية. وفي هذا المنظور، فان المشاريع الصينية، من بين غيرها – الخاصة باشتراكية السوق (أياً يكن الراي الذي نبديه في الاختيار السيء للمصطلحات) قد تتخذ بعداً مثيراً للاهتمام.

شؤون المتوسط

نظرة في اعماق الفن الاسلامي

الارض ... مخزن تاريخي للامة

الاستاذ الدكتور صفوان التل، استاذ الاثار والفنون الاسلامية في الجامعة الاردنية، له رؤيته الخاصة في الفنون الاسلامية، التي تنبثق من دوره كمدرس للاثار والفن الاسلامي، ومن انتمائه الوطني والروحي، يعززها اطار اكاديمي متين.

بداية ومن وجهة نظري كمدرس لمادة الاثار والفنون الاسلامية، اتعامل معها كمادة ذات علاقة بالتربية الوطنية، تكشف ابعاد العلاقة بين الارض والانسان، باعتبار الارض، المخزن التاريخي للامة التي تعيش فوقها. ولقد انصب اهتمامي في البداية على اعطاء الصورة الدقيقة والابعاد العلمية والفلسفية للاثار الاسلامية والتي نعتبرها (مادة روحية) تنبع من الشخصية الجديدة في العمق الانساني، خاصة اذا قارناها مع الحضارات التي سبقت الاسلام.

فالاداب والفنون والثقافة الاسلامية، تدور حول الانطواء في عمق الروح الانسانية المجردة، البعيدة عن التزلف، وعن الايحاء، وعن النظرة المادية، التي اثرت في تاريخ الفنون القديمة بشكل ملحوظ، بينما يعكس الفن الاسلامي عمق النظرة الروحانية، بتحجيم القدرات البشرية، امام القدرة الإلهية الخارقة، لهذا نجد الفلسفة الاسلامية والفن الاسلامي يدوران في اطار، ما هو معروف، بالنظرة المجردة ونكران الذات، وفسحة التامل في طبيعة الحياة، بعيداً عن الايحاءات والرموز المادية.

اما من الناحية العملية فالفن الاسلامي، عبارة عن مجموعة من الرموز البريئة، تعكس إبداع الانسان في تنظيم هذه العناصر، وتعكس القدرة الالهية في تنظيم الكون والخلق في ان واحد، ومن هنا نجد ان العناصر الاساسية الثلاث في الزخارف الاسلامية، تركزت اولا على تصوير النباتات والازهار والورود باسلوب هادئ، ورتيب ومريح للبصر، وتجلى تنظيم هذه المجموعات الفنية من الورود والنباتات وكأنها نوتة موسيقية، تريح البصر، لا بل تسمح في توزيعها الموسيقي بالعين وليس بالأذن!

واعتمد العنصر الثاني من الزخرفة الهندسية الاشكال الهندسية وما يتفرع من التنظيم الهندسي محدد من دوائر ومثلثات ومعينات ومربعات وسداسيات وثمانيات، ليعكس بالتالي التنظيم الهندسي الذي هو احد اسرار الطبيعة، ويعكس الصوت ايضاً!! ويعطي فرصة التأمل في طبيعة الاشياء الصغيرة ليصل الى الاشياء الكبيرة مثل الفضاء والفلك.

اما العنصر الثالث الذي شغل حيزاً مهماً ومرموقاً في الفنون الاسلامية، فهو توظيف الخطوط العربية والكتابات، التي كانت وما تزال مدرسة للفن الاسلامي، واعتمد الحرف العربي، ابتداء من الكوفي اليابس، الى الكوفي المجدل والمزهر، وكانت الخطوط والكتابات تملا المساجد والقصور الاسلامية، بالمأثورات من القرآن الكريم والاحاديث، ومن محاسن مختار الحكم والكلم، بانتقاء الكلمة المثلى التي تؤثر في النفس البشرية. وهكذا اصبحت واجهات العمارة الاسلامية تعكس نماذج من الخط الجميل والمعنى المثالي وكأنها مباراة بين الخط والمعنى. من هذه العناصر الثلاثة أطلقت يد الفنان الاسلامي في ابعادها وعناصرها، فاختارت النقش الحجري، ونقش الفسيفساء، والمعادن والخشب والبلاط (الخزف)، وغير ذلك من المواد الاولية، واصبحت التحف الاسلامية والواجهة الاسلامية، تمثل منطلقات بديعة ومريحة، فلا يوجد صورة ترتبط باهمية الرموز البشرية بل لتعكس حالة التمتع بنكران الذات من خلال الفنون المحرره.

ومن هذه العناصر انطلقت الفنون الاسلامية وبدات تأخذ موقعها بصورة مجردة نشاهدها في اعمال الخزف وزخارف الجدران والسجاد والاثاث والاواني النحاسية والزجاجية، وغيرها من الادوات المختلفة. من هنا،

ومن هذه النظرة المجردة، نعرف ان الاسلام حزم أمره في عدم اعطاء فرصة للتسلط المادي أو الشخصي للافراد أو للجماعات، كما في الفنون السابقة للاسلام، كالفنون المصرية القديمة او العراق القديم او الفنون الكلاسيكية او البيزنطية فانصرف المسلمون الاوائل الى مبدأ التامل في حقائق الحياة، في هذا الاطار الفني، سنجد تفسيرات دقيقة وعميقة، من خلال المصادر الاسلامية التاريخية، يمكن توظيفها في اطار الفلسفة الاسلامية، كما اشار اليها بعض الشخصيات الاسلامية، كابن تيمية وابن رشد وغيرهما من الفلاسفة.

د. التل

كما جاءت العمارة الاسلامية، لتعكس منطلقات جديدة، من حيث التصميم، والدور الهام الذي اضطلع به المسجد، فكان جهازاً انسانياً كاملاً،

المسجد.. جهاز حكومي متكامل

فهو بيت الله المهيأ للصلاة، وهو المدرسة الذي يتعلم فيها المسلم القراءة والكتابة، وملتقى الناس للتعرف على القوانين والانظمة والتشريعات، ومنتدى تدور فيه حلقات الدراسة والحوار. كما هو المكان الآمن لاسرار الدولة وخزينتها، والمشفى، وهو فندق للغرباء، وملجأ امن (من دخل بيت الله فهو امن)، لقد كان هذا قبل ان تتطور الدولة وتوزع هذه الوظائف على مؤسسات الدولة المختلفة من مدارس ومشتفيات وغيرها.

لقد مثّل المسجد ظاهرة جديدة في المجتمع العالمي، وجد الناس فيه حلولاً جديدة لمشاكلهم اليومية، من هنا ظهرت نماذج فنية رفيعة المستوى، ذات ابعاد فنية مجردة، وهذا يتضح في الزخارف التي زينت قبة الصخرة المشرفة في القدس والجامع الاموي في دمشق وزخارف المساجد الجدارية المغطاة بالبلاط القاشاني الملوّن والمزجج الذي عكس المنطلقات الجديدة للفكر الاسلامي والفلسفة الاسلامية كما في بلاد الشام والعراق مصر واسبانيا، وفي صناعة الجبصين الفنية للمساجد الاموية في الاندلس والقاهرة وفي مختلف الفنون الاسلامية التي انتشرت في المشرق الاسلامي، واعتمدت زخارف الطوب والبلاط وخاصة في المساجد والاضرحة والمنارات في ايران وتركيا وحتى حدود الصين مثل سمرقند وطشقند وبخارى وحتى شمال الهند.

من هنا اعتبر الارض مخزناً تاريخياً لحضارة الامة التي نعيش عليها.

رؤيا وهوية في دارة الفنون

بات معروفا على وجه الضبط ان حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل هما ام الحضارات (الاصلية) منذ عصور ما قبل التاريخ، وان جميع الحضارات اللاحقة قد نهلت بشكل او باخر من نبع هاتين الحضارتين وهذا ما اكده ايضا المؤرخ الشهير (ارنولد توينبي)

وفي هذا السياق لا يمكن النظر للقطعة الاثرية من الشرق القديم او الشرق الادنى كاثر فني جمالي فقط، بقدر ما هي شاهد ازلي على اول دور الحضارات الانسانية وعظمتها.

ان من دواعي الفخر لنا جميعا نحن ابناء الشرق، المؤسس والوارث لتلك الحضارات، ان نرى اروقة المتاحف في لندن وباريس وميونيخ ونيويورك وغيرها، تغص وتنوء بما تحتويه من اثارنا العظيمة، على الرغم من اساليب النهب المختلفة التي مورست للحصول على تلك الاثار، وما يعزينا انها محفوظة كارث انساني لا تصل اليه ايدي التجار والعابثين

اننا على تواضعنا في الوطن العربي في فهم وتقدير القيم الحقيقية لما تحتويه ارضنا وما ينبت فوقها من شواهد حية قياساً بالامم الاخرى، يحدونا الامل في ان كل يوم جديد، يزيد من فهمنا ووعينا وعمق اتصالنا بالتراث، مع ان هذا وحده لا يكفي إذا لم نجد الوسيلة والارضية التي تمكننا من الاتصال المباشر بالفن والادب والثقافة والتراث

ومما لا شك فيه ان قيام مؤسسة ثقافية مثابرة وهادئة وجادة في الاردن كمؤسسة شومان، وصرح كدارة الفنون هو بحد ذاته حدث ثقافي جليل

وبالقدر نفسه يعتبر وجود مثل هذه المؤسسة حافزا قويا على العطاء واثراء السيرة الثقافية

فقد عملت هذه المؤسسة منذ نشأتها القريبة على احتضان ورعاية زخم من الفعاليات الثقافية. تستحق عليه بجدارة كل التقدير والاحترام.

اما دارة الفنون فهي شأن خاص متميز. حيث يتملك من يرتادها احساس مهيب بالعراقة على الرغم من يفاعتها، وربما كانت عراقة المؤسسة المالية التي ترعاها سببا في اضفاء هذا الشعور لقد عودتنا دارة الفنون على الرعاية والاحتضان المستمر للمعارض الشخصية والجماعية المتعلقة بالفنون التشكيلية خاصة والفنون الجميلة على نطاق اقل.

لكننا لم نشاهد معارض للمقتنيات الفنية والاثرية والتراثية على النمط الذي بادر اليه الاستاذ ممدوح بشارات مشكوراً.

لا بد عند الحديث عن معرض (رؤيا وهوية) المقام في دارة الفنون منذ مطلع شباط الماضي، من القول بان الاستاذ ممدوح بشارات كما يعرف الذين يعرفونه، ليس هاوياً او جامعاً للتحف والاثار الفنية من اجل المباهاة او ارضاء الغرور، بل هو بحق شخص مسكون بالطبيعة والتراث

ولئن كانت المخيبة وأم الكندم والجوفة، محطاته التي تُجسّد اتصاله العضوي بتلك الطبيعة وذاك التراث، إلا ان أفقه ومداه الحسي يمتد في الحقيقة الى ابعد بكثير من تلك المحطات، حيث الطبيعة المهيبة في الزمان والمكان غير المحدودين.

من السهل علينا ان نقول ان فلانا يملك موهبة موسيقية او ادبية أو شعرية او فنية عامة، لكنه من الصعب جدا ان نكتشف اصحاب المواهب النادرة والراقية والرفيعة المتمثلة في قدرة عالية على الفهم وعمق الوعي والاحساس بجمالية وعظمة الاداب والعلوم والفنون، مثل هؤلاء الاشخاص نادرا ما نلتقيهم في حياتنا القصيرة نسبياً، لكنهم في الحقيقة موجودون، وهم الذين يضفون على العمل او الشكل قيمته الجمالية واهميته الفعلية

فالجمال كما هو معروف مطلق وغير محدود بابعاد ومقاييس ثابتة. واحد من هؤلاء الاشخاص، ممدوح بشارات، فعلى الرغم من الفترة الزمنية القصيرة التي عرفته فيها، الا ان تدفقه الهادئ، وتواصله الوثيق مع الطبيعة والتراث. يفضح بلا مقدمات لقوة تكوينه المؤثر والمتأثر بكل ما حوله من جماليات الكوكب الارضي. وهذا ما يجعل منه شخصاً فريداً بكل معنى الكلمة.

ان ممدوح بشارات لا ينفض الغبار عن القطعة الفنية او الاثرية كي تبدو اكثر جمالا، لكنه تواق لان يسبغ لتلك القطعة قيمة حياتية واجتماعية وحضوراً مدهشاً، وكأنها كائن حي من لحم ودم يقدم له الحب والتبجيل والاحترام.

لقد نصب ممدوح بشارات نفسه وهو على حق، حامياً للطبيعة والتراث ومدافعا عنهما من عبث العابثين. انه يصل الى متعته القصوى عندما يراك انت متمتعاً بما تشاهده مقدراً لما حولك من عطاء الارض

وربما كان هذا هو اهم الاسباب التي جعلته يعرض مقتنياته في دارة الفنون ولوقت طويل نسبيا كي يتيح لاكبر عدد ممكن من الناس مشاهدة تلك المعروضات المتنوعة.

فانت في المعرض تشاهد عددا كبيرا من اللوحات التي رسمها عدد من الفنانين العرب والاجانب، وعلى الرغم من ان لكل لوحة جاذبيتها وذاكرتها، الا ان البورتريه الانطباعي الرائع الذي رسمته المرحومة الفنانة فخر النساء زيد للسيد ممدوح بشارات يمثل بحق تجسيداً فعليا لممدوح شكلا ومضمونا، حيث ينم بالوانه الزاهية عن لون الطبيعة الحية التي يعشقها

للقدس ايضا حضورها في معرض الرؤيا والهوية حيث نشرت على مساحة واسعة رسوم فنان تشكيلي ايطالي مستشرق. اضفى من روحه صبغة خاصة على عدد من اللوحات التي تمثل خاصية القدس وسماءها، وهي بالاضافة لقيمتها الفنية تعتبر من التوثيقات الهامة، حيث تنتمي لمرحلة تاريخية تزيد عن مائتي عام.

لقد نجح الاستاذ ممدوح بشارات في نقل صور حية مصغرة عن الاماكن البهية في الجوفة وام الكندم والمخيبة، وفي نطاق معرفتي للمخيبة، هذا المكان الساحر، الذي يقضي فيه الاستاذ ممدوح بعضاً من اوقاته، إنما يجسد بحق تزاوجاً مفعما بالحياة بين الطبيعة والتراث.

فعندما تدلف الى المكان من البوابة الرئيسية متطلعا الى الامام تجد نفسك في رواق الطبيعة المهيب المحفوف بالاشجار الباسقة والممتد على مدى الرؤية، لتصل في نهاية هذا الرواق الى مدخل ضيق صممه السيد ممدوح من الحجر البازلتي الاثري. وهنا تعتريك الحيرة وانت تحني راسك تحت (حنت) البازلت الضخم كي لا يصطدم راسك به، ثم لا تلبث ان تكتشف وحدك بان السيد بشارات يعلن لك دون ان ينطق عن مكنونات صدره في احترام وحب وتقدير الحجر البازلتي الاسود، فهو يعتبره حدثا فريدا في الطبيعة، فكيف بهذا الحجر اذا استحال الى صبغة تراثية جمالية.

لكنك بعد ان تجتاز المضيق البازلتي الرائع، تدلف الى فضاء رحب اخر تتوسطه بركة المياه المعدنية الضخمة النابضة بالروعة والجمال والحياة، والتي اضفى عليها السيد ممدوح جمالاً وحشياً بعيداً كل البعد عن الزخرفة المملة والاضافات المنمقة.

واخيرا تجد نفسك مجبرا على الاعتراف في قرارة نفسك بان السيد المبجل ممدوح بشارات لا يمتلك كل تلك المساحات الشاسعة في المخيبة وام الكندم وغيرهما، بل يشاركك بشكل او باخر في ممتلكاته ومقتنياته، وانت عنده دائماً على الرحب والسعة.

اننا في هذه العجالة ندعو بشوق وحرارة كل اصحاب المقتنيات الهامة، للتفضل بعرض مقتنياتهم كما تفعل الامم المتحضرة المتفاخرة بماضيها وحاضرها، والمتطلعة دوما لمستقبل افضل.

واخراً، تحية تقدير واكبار لمؤسسة شومان ودارة الفنون ولممدوح بشارات، راجين ان تظل مقتنياته وامكنته الرائعة الحبيبة تسطع ببهاء وروعة.

نادر السومي

من يهب لنجدة اهالي بلدة الزعتري؟!

صادفني الحظ ان ازور بلدة الزعتري الهادئة، الجميلة والمنبسطة على قطعة من الارض، والواقعة على ملتقى الاردن وسوريا والعراق وعلى حافة الصحراء، وتمتد حولها الحقول والسهول الزراعية الواسعة على مدى البصر، لمست بزيارتي القصيرة ما يتحلى به اهل هذه البلدة الوادعة من كرم الضيافة العربية الاصيلة ومن الجهود الجبارة المبذولة من الجميع شيباً وشباناً لإبقاء البلدة حية تكفي اهلها الطيبين المتلئين وطنية وصدقا واستقامة، وفيها ناد للشباب تكرم به احد امراء ال سعود منذ سنين

البلدة الجميلة الوادعة تقع على بحر من المياه الجوفية، قالوا ان هناك ٢٧٠ بئراً ارتوازياً يملكها المتنفذون مالكو القسم الاكبر من الاراضي الزراعية المحيطة بالبلدة. وكلها بدون ترخيص، والبلدة نفسها محرومة من بئر واحدة.

الشكوى المريرة التي يعاني منها اربعة الاف نسمة هم سكان البلدة من ابناء عشيرة النهود من عشائر بني خالد الاكارم، هي ضآلة حصتهم من الارض الصالحة للزراعه. ويجوارهم قطعة ارض مساحتها (٩) الاف دونم سجلت باسم الخزينة، ملكية للدولة وللجيش. ولكن هذا لم يمنع سكان البلدة ومنذ عام ١٩٥١ من تقسيم الارض بينهم (١٠٠) دونم للعائلة الواحدة وعددهم ثمانين عائلة. ومنذ ذلك الوقت وقد اصلحوا الارض وزرعوها بالقمح والشعير. وكانت سببا في تحسين ظروفهم المعيشية. ومن ذلك الحين وهم يتقدمون بالعرائض والشكاوى لجلالة الملك وللمسؤولين الكبار مطالبين بعودة قطعة الارض لهم وتسجيلها باسم العاملين بها. ونالوا الوعود الكثيرة ولكن لحد الان بقيت المشكلة قائمة، والاسوأ من ذلك انهم عرفوا بل فوجئوا بان مؤسسة المدن الصناعية قد اشترت حديثاً القسم الاكبر من الارض.

ما العمل الان، وما هو المستقبل المظلم الذي ينتظر اهالي البلدة؟!

هذا بالاضافة الى شكاوى اخرى مريرة يشكو منها اهل البلدة، فالى جانبهم قامت مؤسسة ال البيت التي تضم العدد الوفير من الاساتذة والمدرسين الموظفين والاداريين والمأساة في الامر ان حصة الزعتري بصفة حراس وعمال تنظيفات وسواقين فقط، رغم كثرة عدد المثقفين والخريجين الذين يحملون الشهادات العليا

مسألة اخرى: يتحدث اهل البلدة عن زيارات متعددة بعثات دراسية عليا لمشروع تطوير البادية، وايضا لم يكن لبلدة الزعتري اي نصيب يذكر من هذه المشاريع.

ومسألة اخرى: بعض من اهالي البلدة يملكون المواشي وبعد رفع اسعار الاعلاف وحرمانهم المعروف من المراعي اصبح الامر صعبا عليهم، وكان هناك ما يسمى مشاريع دعم الاعلاف للذين يملكون اقل من ١٠٠ رأس ماشية ولحد الان لم يروا شيئاً من ذلك، وتربية الماشية تشكل دخلا معقولاً للسكان وهاهي الماشية في طريق الانقراض.

وهناك واد الى جانب البلدة تأتيه المياه من سوريا، الا يمكن الاستفادة من تلك المياه ببناء سدود حجرية او ترابية على الاقل والمأساة الاخيرة انقراض شجيرة الزعتر في ذلك الوادي الجميل، فهل هناك من حل لمشاكل تلك البلدة الجميلة؟!

● يعقوب زيادين

في العيد ناديت معان

(١)

اليك يا ناهض اكتب شعوراً انتابني لانني والله اعرف جيداً اخلاصك وحبك لوطنك وقومك وناسك واردنك وما جمعني بك يوما الا حب الوطن حتى الفناء وعاهدتك على ما تعاهدنا عليه ارواح في سبيل الله والوطن تمضي للفناء ليعيش الوطن حرا عزيزا. لذا رغبت ان اعلمك ما يدور في نفسي اثناء العيد، لانك الصديق الذي اعتدت ان اضع بين يديك ما يمزق قلبي من جراح تسيل من جسد الوطن الحبيب ولان جراحه كان لها الاثر الاكبر في نفسي اثناء العيد، وبعد ان الفت معان مظاهر العيد تضامنت مع معان الحبيبة ومع اهلها الطيبين شعورا بوادي موسى وكل شبر من تلك الارض الابية الطاهرة ملغيا مظاهر العيد فلم اجرؤ على شراء الحلوى واكل الشواء على حساب اهل معان الذين كانت روحي عندهم في معان وجسدي في عمان، اخطو خطوات ما كانت جريئة الى ضريح وصفي التل في الكمالية اتقدم اليه طالبا منه العذر، لان حب الوطن لم نحافظ عليه كما حافظ عليه وصفي ومن سبقه، وعدت بخطوات ثملة ولا اعلم هل قبل اعتذاري ام لا! مكملا مشواري مع العيد لاتلقى نبا مصرع المحامي حنا ندة المفجع ورحيل عاكف الفايز الذي عرفناه انسانا قبل اي شيء كان، ولتمضي ارواحهم ويمضي العيد وتبقى معان صامدة والاردن ينتظر الفجر الجديد مرددا ابيات مصطفى وهبي التل:

وتعيد احلام الشباب ضحوكة

كالزهر يبسم في سهول معان

ونشد ازر هواجس شعرية

ومن كل فاكهة زوجان

(٢) في العيد ناديت بغداد وبني قومي

يا صديقي، مجرد الشعور مع بغداد واطفالها اصبح نادرا والحديث بالنسبة لي مؤلم لان العراق الحبيب ما زال يقاوم بمفرده والاطفال يقهرهم الموت وفرق التفتيش عاثت فسادا في بغداد، ونحن وقومي ننتظر ما يستجد على الامر ونجعل بغداد تدفع ثمن تضحيتها التي ضحتها من اجل الامة دفاعا عنها، فهي لم تتاخر يوماً عن واجبها وما كانت يوماً مأوى دخيل على عروبتنا فهي المأوى الآمن دائما كما قال عرار:

ولقائل لك بالعراق وملكه واقاً

يحميك مما تخاف وتحذر

فهناك لا بلفور يزعج وعده

ولا من يتبلفر!!

وليشد ذهني الشارد الى الجولان والقدس وحنينها للعروبة الحقة والعودة الى الام سوريا الكبرى بعد طول غياب واسترخاء عاشه بنو قومي، لقول لها فقط حسبنا الله ونعم الوكيل يا لفتا ولطرون ويا غور ابن عدوان.

(٣) في العيد ناجيت الإله

ناجيت الاله في العيد فالسماء صافية والنجوم متناثرة واله السموات والارض ورب الكون سماؤه مفتوحه الدعوة اليه مسموحه بلا كلفة ناجيته وهو منزل محمد وعيسى المسيح عليهما السلام ان يخفف من طيش قومي ويجمعهم ويعيد العيد على وطني وهو واحة اهواها وتهواني وفي موتي ترابها ياويني واردد مناجاة عرار لربه:

لله درّ قومي عكر صفوهم

طيش الشيوخ وخفة الشبان

● سالم فهد اللوزي

أيعقل أن يكون ... هو؟!

ثلاثة اخوة، الاول كاهن ذو مرتبة دينية مرموقة في الكنيسة والثاني، يحتل موقعاً برتبة رفيعة في الشرطة. اما الثالث، فخباز، يعيل اسرة كبيرة العدد.

صبية جميلة، اصيبت بشلل في الساقين، واصبحت هاجس والدها الذي لم يدع وسيلة لمعالجتها، إلى ان راى في الحلم من يعلمه ان ابنته ستشفى على يد واحد من ابناء (....*).

تداول اهل البلدة (الحلم)، وخرجوا بفحوى ان الشفاء سيكون على يد الكاهن"! الذي نذر حياته للكنيسة، لموعظة الناس وتبشيرهم بالجنة، وتمكن من القضاء على المارقين والسحرة، وعلى كل من تسول له نفسه بالتفكير او مناقشة امور الدين، لقد خلّص البلاد من اولئك الكفرة بالحرمان والرجم والحرق!! تقرباً لله.

وقعت الصبية على الارض، في ساحة وسط المدينة، والتف أهل البلدة حولها.

تقدم الكاهن بثقة ووقار وهيبة، اقترب من الفتاة، تابعت الجموع اليد المباركة المعطرة بالخدمات الجليلة، ترتفع وتلامس راس الصبية، ويخفق قلب الأب، وتنحبس الانفاس، وتتعلق العيون بالهالة القدسية المحيطة بالكاهن في انتظار المعجزة.

جاهدت الفتاة، محاولة الوقوف، مرة ... مرتين ... ثلاث.

غادرت الجموع الساحة، خائبة، فتيقن النصحاء من أهل البلدة انه الضابط، الضابط الذي امضى شبابه وكهولته، مدافعاً ومتفانياً ومعرضاً حياته للخطر، «في خدمة الوطن»، فلم يال جهداً في القضاء على كل من تراوده نفسه، النيل من السلطات الحاكمة، بالسجن والتعذيب والاعدام، لقد ضحى وقدم الكثير «للوطن». أمت الساحة جموع غفيرة. رفع الضابط يده المضمخة بدماء «اعداء الوطن».

عبثاً، لقد تلاشى حلم الفتاة في امتشاق قامتها.

وارتسم سؤال مباغت على الوجوه، أيعقل أن يكون الخباز؟! الخباز!! الذي لا يفارق بيته إلاّ الى المخبز، ولا يفارق المخبز إلاّ الى البيت، اين هو ممن نذرا نفسيهما لله والوطن!!

كل ما قدمه ويقدمه، اعداد كميات هائلة من الارغفة، يتسابق على التزود بها معظم اهل البلدة بجودتها. ويبادر الى تقديم بضع ارغفة لمن خلت جيوبهم دون ان يسالهم الثمن.

لامست اليد المعفرة بالطحين والعجين، راس الفتاة، وبخفر واستحياء، مسّد على شعرها، نتعت الصبية جسدها، وانتصبت مشدوهة، غير مصدقة، وتعالت تمتمات وهمهمات وشهقات مذهولة!!

وبعد، ايعقل أن يكون الحل ... عنده؟! أيعقل أن يكون ... هو؟!

● ربيعة الناصر

أوراق أردنية

نمر العدوان: في الحب يولد الوطن

قد لمستُ الشجيرات، احسستُ بالنسغ فيها
قد عرفت الشحوب الذي يعتريها
وانتظرت الجفافْ
والربيع الرفيها
غير أن الشجيرات ظلت وريقةْ
سرها نسغها
وجهها نسغها
يا غصون الصنوبر، طلْع الجذور العريقة
اين من يدرك المستقى
اين من يدرك المستقى لا الشبيها
اين من يعرف٭

سعدي يوسف

(١)

المثقف الاردني الابرز الذي تناهى الينا صوته من بدايات التكوين الاردني في القرن الماضي، هو الفارس الشاعر نمر العدوان، او امير شعراء البادية كما كان يسميه العلامة المطران بولس سلمان، في كتابه «خمسة اعوام في شرقي الاردن».

نمر العدوان، كان اميراً من امراء الاردن، اي رئيساً لاحدى الكتل العشائرية – السياسية التي تقاسمت السيادة على البلاد في اطار وحدتها الاجتماعية التي تأسست في القرنين الثامن والتاسع عشر بخاصة عبر الاجراءات التنظيمية التي اسسها العثمانيون وتبلورت عام ١٨٦٤ بهدف اشاعة الاستقرار والفلاحة «وتوطين العشائر البدوية في الاراضي التي يعبر منها طريق الحج، فشرق الاردن، كان وما يزال بوابة الحجاز وعقدة مواصلات الديار الشامية مع العراق والجزيرة

وقد ميزنا نمر العدوان بالمثقف من بين سائر الامراء والشيوخ الاردنيين، لانه نزع في سلوكه الحياتي وشعره الى التمايز والى التعبير عن رؤية تقدمية وحساسية جديدة بالنسبة الى عصره. لقد حصل نمر العدوان المعارف الثقافية المتاحة في بيئته، وانتقل بشعر البادية الى افاق جديدة، واذا كان الشعر، في البيئة البدوية، هو الميدان الثقافي الابرز، والمجال الذي يجري فيه النقاش الاجتماعي، وتتحدد في اطار القيم، فان نمر العدوان، نزع، الى ان يلعب دور المثقف العضوي التقدمي باستشفاف قيم الحياة الجديدة للتكوين الاردني، واستهدافاتها والتبشير بها

لقد كان لنمر العدوان زيارات لا تنقطع الى المراكز الحضارية في الشام وفلسطين وكان على صلة بالقيم الحضارية الجديدة، فبشر بالتسامح والحب واعلاء شأن المرأة والرقة والتواد في الصلات الاجتماعية، مازجا هذه القيم بافضل ما في الاخلاق البدوية مثل اكرام الضيف، واغاثة الملهوف والشجاعة في الحرب.

احب نمر العدوان زوجته (وضحا) حبا غرامياً. واعلن عن ذلك وابدع اجمل قصائده في رثائها. وكان كل ذلك غير معهود في شعر البادية الاردنية. ولم تكن (وضحا) بارعة الجمال بل كانت انموذجاً المراة الاردنية الممثلة لقيم بيئتها يقول يعقوب العودات:

«يروى عن (وضحا) انها اذا رات الضيف. مقبلاً هشت لملاقاته باسمة، وخفت لاستقباله ببشر وايناس واذا جاءت امام حفل زاخر بشيوخ العرب، رجعت الى الوراء خطوات بعد ان تغمرهم بضروب الحفاوة والاكرام بدون ان تبدي لهم ظهرها وفي ايام المجاعات كان بيتها مترعا بانواع المآكل لما كانت عليه من الفطنة والاقتصاد والمعرفة بحاجيات البيت فلما فاضت روحها الى بارئها، خرج (نمر) هائماً على وجهه في البراري والقفار، ذارفاً الدمع الهتون عليها، وجلس زمنا طويلاً على قبر (وضحا) باكياً مستبكياً».

لقد وجد الامير الشاعر في وفاة زوجته الحبيبة (وضحا)، مناسبة درامية للاعلان عن حساسيته وقيمه الجديدة التي استصفاها وبلورها، اعلاناً اجتماعياً يدعو الناس الى التمثل بهذه القيم، والانتقال الى ثقافة حضرية جديدة كانت تتوائم مع التبدلات الاقتصادية الاجتماعية، الجارية في شرق الاردن نحو الاستقرار والفلاحة والتمدن. فليس بشيء عادي ان يحزن امير وفارس على وفاة زوجته حزناً عميقاً معلناً في السلوك وفي القصائد ان هذا الحزن والهيام في البراري، والاسى الضني لفراق (وضحا) هو تعبير عن موقف قيمي ثقافي جديد، كان لا بد ان يتخذ طابعاً درامياً لكي يؤثر في مجتمعه تاثيراً تبشيرياً معلياً قيمة الحب، والمشاعر الانسانية، وتقديس المراة على القيم السائدة التي لا تعترف بالحب، وتقدس القسوة والذكورية وتنظر الى النساء نظرة استعلائية.

(٢)

كان نمر العدوان، اذن، المثقف المبشر بالاستقرار الاردني، والتعبير الابرز عن ارهاصات عملية التحضر في الديار الاردنية. واذا كان الموقف من المراة، كما يقول فردريك انجلز، هو معيار تقدمية المفكر، فقد امسك نمر العدوان بحساسيته التقدمية ازاء زوجته وصديقته (وضحا)، باللحظة التاريخية، بفدائية المثقف العضوي، الذي – حسب انطونيو غرامشي – ينظم ويبلور القيم الجماعية للكتلة الاجتماعية التي ينتمي اليها ويقاتل في سبيل هيمنة هذه القيم واضعاً نفسه في طليعة التغيير.

ان موقف نمر العدوان التقدمي من المراة، بتاكيده على اولوية شخصيتها وصفاتها الاخلاقية على جمالها وصفاتها الحسية، وباعتبارها صديقة وشريكة، وبتقديسه لمشاعر الحب الحميمة، والفخر بهذه المشاعر علنا، ان هذا الموقف ياتي ضمن ضفيرة من المواقف اعلن عنها شعره، يتحد فيها ما هو بدوي وما هو فلاحي فنحن نجد في شعر نمر العدوان ضفيرة من القيم التي توحد تمجيد الامومة وتمجيد الرجولة، والتاكيد على قيم الحرب الى جانب قيم الحب، والقوة الى جانب اللين والمودة، والكرم البدوي الى جانب التعاضد الفلاحي، والصراحة والاباء الى جانب الحياء والتواضع . وهي كلها وغيرها ضفيرة القيم الاردنية المنسوجة من التقاليد البدوية والفلاحية المتمازجة في ارقى اشكالها، والتي ميزت القيم السائدة في الشخصية الاردنية التي تبلورت في عملية التحول من البداوة الى الفلاحة التي شهدها الاردن في القرنين الثامن والتاسع عشر.

لقد لمع نجم نمر العدوان في الثقافة الشفاهية الاردنية بوصفه مثقفاً (منظماً وناشراً للقيم) عبر شعره، باكثر مما لمع نجمه بوصفه اميرا لواحدة من اقوى العشائر الاردنية، فهو بتعبيره عن القيم الجمعية الجديدة للاردنيين، لم يعد اميراً او شيخاً لعشيرة العدوان، ولم يعد شاعر القبيلة، بل شاعراً وطنياً شعبياً. يجد فيه كل اولئك الذين مست قلوبهم الحساسية الثقافية الجديدة، من كل القبائل، شاعرهم، اي ان نمر العدوان، بنزوعه الى القيام بدور المثقف العضوي للتحولات الاجتماعية – الاقتصادية الوطنية، استطاع ان يكسر نطاق القبيلة، وان يغدو شاعر الاردن، لا شاعر (العدوان) وامارة نمر وانتماؤه لقبيلة قوية ذات سيادة وفروسيته المشهورة، لم تلعب دوراً قبلياً، بل ساهمت في تكثيف الرمز الثقافي القيمي الذي كان نمر الذي فرضت قصائده نفسها على جميع ابناء العشائر الاردنية، فتغنوا بها، وتغنوا بصاحبها، كاسرين بدورهم قيودهم القبلية، الى وحدة الانتماء الثقافي الاردني ان نمر العدوان هو اول علامة بارزة على نهوض الاردنيين من مرحلة القبائل والمناطق الى مرحلة الشعب والوطن وهو الى ذلك، استطاع ان يصل الى اكثر مما اراد، في تصوير الابعاد الانسانية والعاطفية للعلاقة بين الرجل والمراة، فوضع يده على سر هذه العلاقة التي يتناوب فيها الرجل والمراة «السيادة» ليصنعا معاً جدل الحب والشراكة الانسانية في ارقى صورها

ويلمح القارئ، الفطن في شعر نمر العدوان، نزوع الشاعر الى الانفتاح على المدى الشامي، وميله الى الخروج من العزلة العشائرية - المناطقية باتجاه المراكز الحضرية في سوريا وفلسطين، وهو ما يعبر عن نزوع الوطنية الاردنية التقليدي الى تاكيد العلاقة مع هذه المراكز، واكتشاف الذات الوطنية في اطار اكتشاف الذات القومية

(٣)

لقد تعرفت الى شعر نمر العدوان، اول مرة، شفاهة فقد كان الجيل الفائت يردد هذا الشعر، في ليالي الشتاء امام مواقد النار، وفي ليالي السمر الصيفية واحسب ان الاردنيين قبل الطفرة النفطية والتأمرك الثقافي والانحطاط القيمي وغير ذلك مما عشناه من ماس منذ اواسط السبعينات، كانوا يحفظون مقطوعات عديدة من شعر نمر العدوان ويترنمون بها وبخاصة قصيدته الذائعة الصيت «البارحة يا عقاب» وقد صنع العلامة رخس بن زايد العزيزي مسلسلا تلفزيونياً جيداً عن نمر العدوان الا انه ضاع وضاع تاثيره في زحمة المسلسلات البدوية الهابطة الذوق والفقيرة المضمون.

واذكر عندما تبلور خط الوطنية الاردنية، اول ما تبلور، في صفوف اتحاد الشباب الديمقراطي الاردني في نهاية السبعينات، ان صديقنا ورفيقنا في الاتحاد، عقاب الرحامنة، قد استعاد، بصورة عفوية، اشعار نمر العدوان، واخذ يترنم على الربابة بمقطوعات منها. وانني استعيد، هذه الذكرى الطيبة الان، واظن ان استذكارنا نمر العدوان، في اطار نشاطنا لبلورة الخط الوطني الاردني، لم يكن مجرد مصادفة فنمر العدوان هو اول رموز الوطنية الاردنية وفي الايقاع العميق لقصة حبه وشعره، يكتشف الاردني رعشة الانتماء لهذه الارض التي على ثراها تشكلت وحدة المشاعر والقيم لشعب عربي اصيل، ما يزال، بالرغم من كل اشكال الطمس الثقافي والتهميش الاقتصادي والسياسي، قادراً على معاودة اكتشاف ذاته، ومعاودة الامل بحياة اكثر تقدماً وبهاء، اعني حياة تستحق ان نعاش حتى اخر قطرة في حميمية العلاقات الانسانية والعاطفية الحرة الراقية في مجتمع تقدمي وديمقراطي.

(٤)

البارحة يا عقاب

ان اشهر قصيدة للشاعر نمر العدوان، هي قصيدته التي مطلعها «البارحة يا عقاب ...» وكان الشاعر – على ما يروي يعقوب العودات – قد قضى عيد الاضحى المبارك في القدس الشريف «وفيما هو عائد الى اهله شعر بغم شديد يضغط على صدره، واحس بموجة من التباريح تسطو على قلبه، وكان هاتفاً نفسانياً هزه هزاً عنيفاً، واشعره بوفاة زوجته النادرة المثال، ولم يكن له سابق علم بوفاة (وضحا) فطفق يبكي وينوح نواح الثواكل عليها». فتوحد احساسه بزوجته الحبيبة، جعله قادراً على العلم بوفاتها وهو بعيد عنها فارتجل يقول مخاطباً ولده عقاب

البارحة يا (عقاب) يوم القمر غاب
بليلة العيد السعيد الجديد
عيد سعيد بضحى العيد لي طاب
حاضر، وناظر بمعايد وديدي
من عيدنا هذا طفر قلبنا وشاب
صار اتعس الاعياد يا عقاب عيدي
امر جرى بالمقادير واسباب
غصباً عليّ يا عقاب. ويش بيدي
محبوبي انا سقاني شهداً صفا ذاب
اريج من فحاح سرق البريد
سحبوبنا عبدا وسيّد وحبّاب
ذوناب هو عبدي وذوناب سيدي
يا عقاب! انا جيت الحي وكنّي كنت غيّاب!
نبّهت الخدم يا عقاب ويّا العبيد
سايلتهم عن صاحبي وين هو غاب؟
قالوا: استمع يا نمر ما هو بعيد
زاير هله يا نمر «بسايح ذياب»
سريعاً يلفي والمحبة تزيد
يا عقاب ان كان ما جرى غيظ وعتاب
حافظ لساني من الخطا وحافظ ايدي
يا عقاب اركب فوق ساجوج مهذاب
نضو سبتر سوسحاني فريد
اسرع من الدولاب لن ساب او ثاب
اكشفْ خبر محبوب عيني وريدي
يا عقاب ان كان هرج العبد كذاب
برجلي انا يا عقاب صك الحديد
مكّنوا انا كتافي واسجنوني ورا الباب
لسوح انا وانصى بلاد الصعيد
كل ما غشيت مراح او جيت مرقاب
لجوح جوح الذيب واعضّ بايدي
انهف واذوح واقطر الدمع سكّاب
ع صويحبي اللي راح ما هو عن يدي
يا قلبي تقول سفوت حديد شباب
يا مهجتي لو انو حجر صار شيدي
من لامني يا عقاب يبلى بارقط الناب
من جنة الوهاب ما يستفيد

□□□

ويلاحظ القارئ، ان لغة هذه القصيدة ليست بدوية مقعرة ولا فلاحية، بل هي نسيج جديد يمثل اللهجة البدوية – الفلاحية الاردنية المتشكلة على قاعدة التحولات الاقتصادية – الاجتماعية الجارية في الاردن اعتبارا من النصف الثاني من القرن الثامن عشر ومن المؤثرات الاساسية في اللغة الشعرية لنمر العدوان، اتصاله بالمراكز الحضرية العربية، وهناك اشارات الى ان نمر العدوان قد تحصل على دراسة منتظمة في الازهر الشريف، ولكن صلاته مع دمشق والقدس، مؤكدة وقد اثر كل ذلك في شعره، مضموناً ولغة.

(٥)

(وضحا) احرى من قلم غالب هلسا

انموذج (وضحا) تجسد في شخصية امنة، الام الثانية لغالب هلسا في رواية (سلطانة) وقد صعد غالب هلسا بالمراة الانموذج، لكي تلخص، في رمزيتها الاردن الحلم، اي الاردن البدوي - الفلاحي البطولي الذي تهشم بمعاول الطبقة البورجوازية المشوهة التي خلقها الاستعمار الانجليزي فالاميركي يصف غالب امنة، فيقول

«كان رقص امنة جزءاً منها، احد تجليات شخصيتها: تقترب حتى يظن قائد الجوقة انها ممنوحة له. ما عليه الا ان يمد يده لياخذ الخنجر من يدها، امراة ممنوحة كلياً لرجل يذوب وجداً وشبقاً، ولكنه يكتشف انها ممتنعة حد الاستحالة، وان نجوم الليل اقرب اليه منها.

وكانت امنة تجليا للجو العام على نحو حاذق، مبهم. ففي القرية انفتحت طاقات للفرح لا ترتوي. ولكن كان يرافق هذا، يمتزج به خوف، يبدو كانه يقول: الفرح ليس لنا انه تجديف على الرب، وتجاوز لقدر الانسان. الانسان مكتوب عليه الشقاء. نلاحظ ذلك عندما ينطلقون بمرح وضحك لا ضابط لهما. ثم يلوح فجاة ولمسة رعب قد تسربت الى الوجه كانها دخان صعد من عمق اللحن من بخار القلب، ليشيع بالوجه ويحيط بالعينين تذكر ايها الانسان انك خلقت للعذاب والموت:

شباب قوموا العبو
والموت ما عنو
والعمر شقحة قمر
ما ينشبع منو
وينطلق صوت المغنية وهي تهامي. وتنشد الجوقة:
يا صبابين الشاي
زيدو حلاته
واللي ما يعشق ويحب
يحرق حياته

امنة وحدها كانت فرحاً خالصاً. رايتها مرة بعد واحدة من تلك الرقصات رايتها تشع. شعرت ان شيئاً ما قد انفلت من سيطرتها المحكمة. تلك هي اسرار امنة: لم تكن تخاف من الفرح!

(٦)

(وضحا) . . (امنة) امراتان احبتا الحياة والناس والفرح، وكانتا، على نحو ما، حضوراً رمزياً لاردن بطولي ما زلنا نحبه، ونعمل من اجل ان يكون وطناً للحرية ... والحب . . والتقدم ... امراتان ولدتا في الفن من اجل خلق تصور رمزي لميلاد شعب متجذر في الارض والعروبة والحرية.

● ابو المعتز

تتمة المنشور على الصفحة الاولى

شام واحدة ... وخندقان*

● ناهض حتر

(١)

لم يتعرض قطر عربي لما تعرض له القطر الشامي من عوامل التفكيك الداخلية الى العدوان الخارجي، الامبريالي والاقليمي. ففي جنوب الشام، زرع المستعمرون، الكيان الصهيوني. ومن شماله، سلبوا «الاسكندرون» وضموه الى الكيان التركي الحاقد على سورية والعرب، ويعيش القطر الشامي بين المطرقة الاسرائيلية والسندان التركي وهما حليفان ضد عدو مشترك سورية ونشق القطر الشامي، عصبيات محلية، اخطرها العصبية الفلسطينية، وعصبيات طائفية، اخطرها العصبية المارونية، عداك عن شتى انواع العصبيات والطائفيات والمذهبيات ومع ذلك، فالشام واحدة من شواطئ البحر الابيض المتوسط، الى الصحراء، ومن جبال زاغروس الى خليج العقبة وفي الشام، خندقان لا غير خندق الامة في دمشق، وخندق أعداء الامة في تل ابيب

(٢)

وكان الامير فالملك عبد الله، يريدها شاماً واحدة وكان له من اجل ذلك، مشروع رفضه السوريون واللبنانيون، حرصا على النظام الجمهوري . وخوفاً من وقوع دمشق وبيروت تحت الهيمنة البريطانية، بعدما كانتا قد تخلصتا من الانتداب الفرنسي . ولكن ايضا لان تياراً قويا في البورجوازية السورية كان امتداداً «للشوام السبعة» ، قطريا ، حتى انه حطم الوحدة الاقتصادية – النقدية مع لبنان .

كذلك ، لاقى مشروع الملك عبد الله، اعتراضاً من العصبية الفلسطينية، الا ان الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨، اتاحت للجيش العربي «الاردني» ان ينتزع الضفة الغربية والقدس، بالدماء، من براثن الصهاينة ، وان يحقق مشروع دولة جنوب الشام في إطار الدولة الاردنية

وكانت الاغلبية . ورجال العصبية الفلسطينية . ومخابرات فاروق: فكان الرصاص الذي اودى بحياة الملك ومشروعه في لحظة درامية ، هي لحظة الصلاة المتمناه في الاقصى الشريف

وفي ضربة حظ مؤقتة ، تسلم الملك طلال وهو شخصية وطنية – ديمقراطية. تذكر بالنبلاء الثوريين في روسيا القرن التاسع عشر – السلطات في البلاد، فبدأ عهد اصلاحات سياسية عميقة للنظام، فشجع وبارك اقرار دستور ليبرالي، وانشا، محكمة العدل العليا، واعطى دفعة للمؤسسية في الحكم، واقام صلات مع رجالات الحركة الوطنية، وشجع الروح الوطنية المعادية للانجليزي. وكان كل ذلك اساسا للديمقراطية الاردنية في الخمسينات التي ادت الى نشوء عملية اندماج عضوي بين الضفتين ، تجسدت في ولادة احزاب اردنية – فلسطينية متدامجة على أسس طبقية وعقائدية لا على اسس جهوية «الحزب الشيوعي، حزب البعث العربي الاشتراكي، حركة القوميين العرب ، الاخوان المسلمون ، الحزب الوطني الاشتراكي» وكان تدامج هذه الاحزاب، داخليا ، وفي اطار حركة سياسية واحدة ، تعبيراً ملموسا عن نجاح دولة جنوب الشام.

وفي اجواء هذا النجاح بالذات، جرت انتخابات خريف ١٩٥٦، وفازت قوى الوحدة والديمقراطية والتقدم فيها باغلبية المقاعد بها وتشكلت حكومة سليمان النابلسي، الوطنية – الديمقراطية .

كان ذلك عهد الانجازات : وزارة الاقتصاد تحت قيادة حمد الفرحان، خلية تخطيط ومبادهة وانجاز تعبيراً عن نمو بورجوازية وطنية تسعى الى بناء اقتصاد الدولة الجديدة .

* الاحزاب السياسية ، خلايا نشاط وحدودي واجتماعي وفكري وثقافي ، تجيش الجماهير ، وتوحدها ، بغض النظر عن اصولها، في حركة ديمقراطية بدأت تحطم الاطر الاجتماعية القديمة، وتنتقل بالدولة الاردنية ، الى اطار جديد، وطني – ديمقراطي.

* العلاقات الاردنية – العربية ، تصفو وتتعزز، ويصبح الاردن شريكا اساسيا في المنظومة العربية ، ويكتسب ، بحيوية المجتمع والدولة فيه ، احتراما دوليا .

* حركة الضباط الاحرار في الجيش العربي، لا ولم تكن ، ابدأ حركة انقلابية تضع ثقل القوات المسلحة وهيبتها وراء، المشروع القومي والديمقراطي لبناء الدولة الاردنية الحديثة .

□□□

من تحرير الضفة الغربية والقدس، الى الدستور ، الى نشوء الحركة الوطنية الديمقراطية الواحدة، تعبيرا عن وحدة المجتمع والدولة فالى الغاء المعاهدة الاردنية البريطانية، بعد تحرير الجيش العربي من قيادته الانجليزية. حصلت الدولة الاردنية على افضل بداية ممكنة في بلاد الشام: الوحدة والاستقلال والديمقراطية، اي انها اكتسبت ثلاث شرعيات معا: الشرعية القومية، الشرعية الوطنية، والشرعية الديمقراطية: وقد تمثلت هذه كلها في حكومة سليمان النابلسي التي تشكلت في اواخر ١٩٥٦.

لو بنينا على هذه البداية، لربما كان الاردن الان جوهرة الشام، ولكن....

(٣)

كانت لنا ردة نيسان ١٩٥٧ الرجعية، بالمرصاد:

– الغي الديمقراطية، وبدّد الحركة الوطنية في السجون والمنافي، فاصبح حكم الضفة الغربية متعذراً إلا بالقوة. وكان مناخ القمع ملائماً لاعادة تجديد العصبية الفلسطينية التي عبرت عن نفسها أولا، في نشوء منظمة «فتح»، ثم فرضت نفسها على جميع المنظمات الفلسطينية. وكان سير الاحداث يقود الى انقلاب هذه العصبية على الدولة الاردنية، عندما اختل ميزان القوى، عام ١٩٧٠. والغت الاستقلال، حينما استضافت الهيمنة الاميركية، الهمجية من حيث انها ادت الى تحطيم جهاز الدولة الاردنية، وادخال الفساد الى صفوف النخبة الحاكمة. وتراجع الثقة التي هي اساس التنمية.

وهكذا، وصلنا الى عشية حزيران ١٩٦٧، بانشقاق داخلي، وحكم استبدادي، وجهاز دولة تفسّخ بالفساد. وكانت الكارثة...

(٤)

اتخذنا قراراً ارتجالياً بدخول الحرب عام ١٩٦٧: ونحن نعلم اننا سنخسر الحرب، ولم نكن مضطرين الى المشاركة فيها، بل ان الرسائل الاميركية (والاسرائيلية) كانت واضحة وصريحة ومباشرة، تتطلب تحييد الجبهة الاردنية. ولكننا اعطينا الاسرائيليين، فرصة ذهبية لاحتلال سهل وسريع للقدس والضفة العربية وكان ذلك يعني تسديد ضربة موجعة لكيان الدولة الاردنية التي خسرت نصفها الفلسطيني، وتهددت، بالتالي، شرعيتها القومية. بينما ظل الفلسطينيون – بدون ارضهم – جزءا من المعادلة الاردنية وهذا المعادلة – بدون الارض – تعني انهيار الدولة الاردنية الى مجرد وطن بديل"

(٥)

وفي ايلول ١٩٧٠ حصدنا نتائج ردة ١٩٥٧، وتدمير الديمقراطية الاردنية والحركة الوطنية وحصدنا نتائج مشاركتنا الخاطئة والارتجالية في حرب حزيران ١٩٦٧ في التناقض المسلح الذي اندلع بين العصبية الفلسطينية والدولة الاردنية وانتهى الى كارثة اخرى فقد انفصل مواطنو الضفة الغربية والقدس، سياسياً ونفسيا، عن الدولة الاردنية التي خرجت من المعركة نصف دولة، لا يمحضها نصف سكانها، الولاء"

وادت عزلة الاردن عن العرب، وضعف الدولة الداخلي، وبدء المفاوضات الاردنية – الاسرائيلية، الى شلل تام في الارادة السياسية، دفعا الى خطأ جديد، وكارثة جديدة، ادت الى تهميش الدور الاردني كلياً

(٦)

عندما اشتعلت حرب تشرين ١٩٧٣، كان واضحاً ان موازين القوى، بالنسبة للعرب، هي افضل بما لا يقاس من موازين القوى عام ١٩٦٧ وسواء، اكانت هذه الحرب، حرب تحرير ام حرب تحريك . فقد كان واضحاً ان لها ما بعدها وكان علينا ان نشارك في هذه الحرب على الجبهة الاردنية لقد ترددنا، وسمحنا للوقت الثمين في الاسبوع الاول من الحرب، الذي شهد انتصارات عربية مؤثرة، ان يتبدد، ثم شاركنا رمزيا على الجبهة السورية .

كان إحجامنا عن المشاركة في حرب ١٩٧٣، خطأً تاريخياً، معناه اننا تخلينا عن الضفة الغربية والقدس، واننا فقدنا شرعية دورنا الفلسطيني نهائياً. واصبحنا متطفلين على العملية السلمية!!

لقد خسرنا – بعدم مشاركتنا في حرب ١٩٧٣ – الضفة الغربية والقدس، سياسياً، بعد ان كنا قد خسرناهما عسكرياً في مشاركتنا الخاطئة في حرب ١٩٦٧ وانتهينا الى مؤتمر القمة العربية في الرباط عام ١٩٧٤، الذي كرس ياسر عرفات ممثلاً شرعياً ووحيداً للفلسطينيين، بما في ذلك نصف شعبنا!"

(٧)

كان علينا، وقد خسرنا ما خسرناه جراء اخطائنا المتكررة، ان نبدا عام ١٩٧٤، بداية صحيحة: فنقوم بفك الارتباط، دستورياً، مع الضفة الغربية، وفك الاشتباك مع الفلسطينيين فيما يتصل بالجنسية والدور السياسي والكيان، فنعترف بالدولة الفلسطينية المستقلة، ونؤكد ارتباطنا مع دمشق والعرب، ونبدا في الداخل مرحلة جديدة من رفع الاحكام العرفية، واجراء الاصلاحات الدستورية والديمقراطية، واعادة تاسيس الدولة على الشرعية الاردنية – العربية

وللاسف الشديد، لم نفعل شيئا من ذلك، بل «غرقنا» في اموال المساعدات العربية، وفيما بعد اموال القروض الخارجية، وشددنا الاحكام العرفية داخلياً لنتيح للنخبة ممارسة الفساد الاداري والمالي على اوسع نطاق ممكن: وتابعنا الاشتباك مع الفلسطينيين، لنؤكد ان لنا «دوراً» .. يجلب لنا المزيد من المساعدات!!

(٨)

وانكشف كل شيء عام ١٩٨٨:

اضطررنا الى الاعتراف بان الفلسطينيين لا يريدوننا، فانتهينا الى فك ارتباط جزئي، واشكالي مع الضفة الغربية، ما يزال معلقاً حتى الان

واضطررنا الى ... صندوق النقد الدولي.

وصار ما كان بداية صحيحة عام ١٩٧٤، من الغاء الاحكام العرفية والعودة الى الشرعية الدستورية، ضرورة املتها المتغيرات، لا نهجاً معبراً عن «النخبة»، المتجهة الى اعادة تأسيس «دولتها» كما كان الحال غداة قمة الرباط

(٩)

بعد الموجة الديمقراطية الاولى، لعام ١٩٨٩ وجدنا انفسنا، وجهاً لوجه، امام العملية السلمية المنطلقة من لهيب حرب الخليج الثانية: لقد خسرنا امكانات الحليف العراقي: وصار علينا ان نعيد ترتيب اوراقنا: سورياً او اسرائيلياً.

في البداية، حاولنا ان نستقوي على ياسر عرفات، بالعامل الدولي وبالعامل الاسرائيلي: فاذا كانت المشاركة الفلسطينية، مستحيلة بدون «المظلة» الاردنية، فلتكن هذه المظلة اساساً لاعادة بناء، دورنا الفلسطيني المفقود. ولكن ياسر عرفات، لعبها، وحده، في اوسلو .. ووجدنا انفسنا، وقد خسرنا اخر سهم في جعبتنا: «المظلة».

وعندما كان يمكننا ان نختار تكتيكا مزدوجا، فنوقع «الاجندة» لكي نضمن «مقعدنا» في «العملية السلمية»، ثم نذهب الى دمشق، لكي نضمن مقعدنا في كونفدرالية بلاد الشام، وفي النظام العربي.

لو فعلنا ذلك، لاوجدنا الاطار الخارجي الملائم، لاعادة تاسيس الدولة الاردنية في الداخل، على اساس الشرعية الاردنية – العربية، والديمقراطية، بما يمكننا من مواجهة استحقاقات صندوق النقد الدولي من موقع القوة النابعة من الاجماع الداخلي، وفيما بعد، كان يمكننا ان نلعب دوراً اقليمياً مؤثراً، هو دور «الجسر» بين بغداد ودمشق.

ولكننا يا للاسف، انتقلنا الى سلسلة من الكوارث!

– وقعنا، باستعجال، وبدون تبصر وروية، معاهدة «مسلوقة» مع الاسرائيليين، قدمنا فيها تنازلات غير ضرورية، وضمّنها الجانب الاسرائيلي، بموافقتنا، اشكالات وغوامض، افاد وسيستفيد منها الاسرائيليون لاحقاً. والاخطر اننا قبلنا بان يكون التعاون مع اسرائيل، بما في ذلك التعاون الامني، جزءاً من المعاهدة. هو ما يحشرنا في الزاوية الاسرائيلية، ويخرجنا، موضوعياً من النظام العربي.

– ثم انزلقنا اكثر فاكثر في موجة من التعاون الثنائي مع اسرائيل، وفتحنا لها كل الابواب، بدانا نربط كل اشكال الحياة والتطور في بلدنا بالتعاون مع الاسرائيليين.

– ثم افتعلنا خصاما مع بغداد، واشتغلنا، بحماس وبدون مبرر، على تخريب العلاقات الاردنية – العراقية، بل اردنا ان نعوض عن عدم مشاركتنا في «حفر الباطن» بالذهاب اليه، وحدنا . بالرغم من ارادة كل العرب، وكل الاردنيين

– وانزلقنا اكثر، فلم يعد امامنا سوى ترجي اي دور في اطار التحالف التركي – الاسرائيلي، دون جدوى فنحن، في الحقيقة، نشكل عبئاً على هذا التحالف وليس عندنا ما نقدمه له، لا سياسياً ولا عسكرياً

– وحتى اسرائيل لا تريد سلاما معنا. فهي لا تعترف، اصلاً، بالكيان الاردني، وتعتبره، مع فلسطين، منطقة نفوذ خاصة بها وهي اذا كانت تتلهف على «السلام» التعاون مع العرب، فان ذلك لا يشمل من تعتبرهم «رعاياها» اي الفلسطينيين والاردنيين ولذلك، يتركز الاهتمام الاسرائيلي في المفاوضات مع غزة وعمان، على شيء، واحد هو: التعاون الامني لمكافحة «الارهاب»!

– وهكذا، اذا ما وضعنا «البروتوكولات» جانباً، فسنجد اننا تابعنا ياسر عرفات الى مستوى مشاركته في «دوره»! مع فارق اساسي، وهو ان سلطة الحكم الذاتي تتمتع بقدر من الاجماع الداخلي والتماسك اكثر بكثير مما هو قائم في الاردن

– نعم ليس لنا عند اسرائيل، اكثر مما لديها لعرفات الدور الامني!

(١٠)

. ماذا فعلنا بانفسنا؟

– لقد دمرنا، بانفسنا، علاقاتنا الاستراتيجية مع العراق، وناصبنا سورية العداء وهذا يعني عزلتنا عن السعودية ومصر والعرب. واذا كان بعض العرب يجاملنا، استحياء، فان المنظومة العربية لن تتعامل معنا خارج موافقة سورية، ورضاها، ولا نستطيع، للاسف، ان نخرج من عزلتنا عربيا، بعلاقات خاصة مع هذا البلد العربي او ذاك .. بعد ان اعطينا، لكل العرب، درساً في الوفاء والاخلاص في انموذج علاقتنا الخاصة مع بغداد

– وعلى المستوى الدولي، فان الاوروبيين والروس والقوى الدولية الاخرى، لا تاخذنا جدا، كما تاخذ سورية مثلا، لاننا، في نظر القوى الدولية، «محسوبين» على الاميركيين، بل قل في جيبة الاميركيين

– واميركا . . في المحصلة الاخيرة، وفي حساب موازين القوى المحلية في منطقتنا بالذات، تعني اسرائيل! فنحن، ويا للاسف، ندور في الفلك الاسرائيلي .. وكأنه لا مخرج!!

– وداخلياً – وهو الاهم – قمنا بتدمير «الاجماع الداخلي» عن بكرة ابيه!!

* فاذا كانت اغلبية شعبنا قد تعبت ويئست، وتريد «السلام» بمعنى تجنب الحرب مع اسرائيل ... فان هذه الاغلبية لا تريد «السلام» بمعنى التعاون مع اسرائيل ... فما بالك بالتاسرل؟"

* واذا كانت اغلبية شعبنا لا تريد تغيير النظام السياسي في البلاد ... فهي تريده نظاما ديمقراطياً كاملاً.

* واذا كانت اغلبية شعبنا قد فُجعت بنتائج حرب الخليج الثانية، فان شعبنا كله مع العراق .

* واذا كانت اغلبية شعبنا مستعدة لتقديم التضحيات من اجل التنمية، فانها غير مستعدة للتضحية من اجل حفنة من البورجوازيين المحليين والراسماليين الاجانب.

* واذا كان الفلسطينيون في الاردن، مواطنين وعلى الراس والعين ... فاننا جميعاً، اردنيين وفلسطينيين، تريد ان نفهم «وضعنا» ونريد ترتيبات دائمة، تسحب فتيل الانفجار، وتعيد تاسيس شرعية الدولة.

□□□

السياسات الحكومية الاردنية تعيش عزلة كاملة، محلياً وعربياً، ومع ذلك، فهي تواصل الاندفاع ... الى اين؟! الله، وحده، يعلم.

(١١)

ساتوقف، قليلاً، عند قصة «صناديق الادخار»!! وعند الاخطر في هذه القصة ... وهو اتجاه ادارات هذه الصناديق الى شكل رئيسي لمقاومة مشروع قانون حكومي يهدف الى السيطرة على استثماراتها وهذا الشكل هو. الغاء .... الصناديق، اي حلها وتسييل موجوداتها، ولو كنت صاحب قرار، لتوقفت ملياً عند هذه الظاهرة .. فمعناها ان الشعب، ومن شتى المنابت والاصول، فقد، كلياً، ثقته بالحكومات، وبكل ما هو حكومي.

قد نضع الراس في الرمال، ولكن الحقيقة هي الحقيقة: ان الحكومات الاردنية لا تستطيع ان تحصل، خارج دائرة المنتفعين، على ثقة مواطن واحد. ولعل هذا هو الاساس في تعثر الاستثمار الداخلي، فالاستثمار يحتاج الى... الثقة.

(١٢)

في لحظة الانكسار الاردنية هذه! وعلى جميع الجبهات، ينبغي لنا ان نراجع الحسابات:

– هل نواصل سياسات التاسرل، والخصخصة، والاجتهاد في البحث عن دور اقليمي خارج المنظومة العربية، وهو ما يعني، بالتالي، تقهقر، الديمقراطية والصدام الداخلي ... ام نجمد «وادي عربة» في ثلاجة السلام البارد ... ونعود الى التفاهم مع دمشق ... وبغداد ... وقبل ذلك! مع انفسنا؟!

□□□

وبعد،،،

فمنذ ثلاثة اسابيع، صرح وزير الخارجية السوري، فاروق الشرع، لتلفزيون الجزيرة بقطر، قائلا: اننا نتفهم اقدام عمان على توقيع معاهدة وادي عربة، خصوصاً بعد اقدام (م ت ف) على توقيع اتفاقية اوسلو.

وهذا الكلام يتضمن دعوة ود وحوار وتنسيق

والرد على هذه الدعوة، يتطلب ما هو اكثر من مشاغبة صحافية!

.. لقد ذهبنا الى «تل ابيب» في وفد رفيع المستوى، واسع التمثيل، حكومياً ونيابياً واعلامياً. واجرينا حوارات مع اعداء الاردن... فاي شيء يمنعنا من تشكيل وفد لزيارة دمشق... واجراء حوارات مع اشقاء الاردن .. الاكثر قربا إليه في الجغرافيا.. والروح ؟

* ارسل هذا المقال الى صحيفة (الدستور) الغراء، ورفضت نشره.

قراءة في «جرائم الشرف» في الاردن

قتلٌ ... يحميه «القانون»!!

اعداد :
حنان هلسا

عند موت الاميرة ديانا وصديقها دودي قامت الدنيا ولم تقعد، وتم نقل المراسيم باكملها وتحسر عليها رجال الاردن صغارا وكبارا، واعتبرت شهيدة الحب والصداقة، ودافع عنها الجميع على اعتبار انها مارست حقها في الحب والصداقة، وفي غمرة التعاطف معها صدر سؤال عن احداهن، يا ترى لو كانت اختك ماذا تفعل؟! او بصيغة اخرى، هل يمكن لك ان تتزوج امرأة احببتها وعشت معها مثل هذا المشهد؟! فكان الجواب، صفحة مقلوبة تماما وبدأ الحديث عن المحرمات، وان الحب محرم على المرأة العربية فهي لا تعرف الحب ولا الصداقة والى اخره من حديث ينم عن سلب المرأة حقها حتى في ان تعرف من تتزوج.

غريب امر الرجال في بلدنا، وليس هذا فحسب فقد مر بي في حياتي مشهدان جعلاني ابحث في موضوع قضايا الشرف في الاردن، المشهد الاول، كانت طالبة في السنة الاولى في احدى الجامعات ومعها شقيقها في نفس التخصص والسنة - وطبعا شرط دخولها الجامعة وجود شقيقها معها - فوجئت به يوما يطلب مني السماح لصديقته بحضور احدى محاضراتي، فما كان مني من باب الذوق إلا ان سمحت لها، وسألتها ان كانت طالبة في الجامعة؟! فاجابت انها تلميذة وتعيد التوجيهي للمرة الثانية، ولقد لفت نظري قبل دخولي المحاضرة وجودها معه وكانت الايدي متشابكة بطريقة غرامية وجريئة لفتت نظر كل الطلبة، ويعبران عن حبهما بكل جراة، وما حدث بعد ذلك انني فوجئت بشقيقته تبكي ومعها صديقتها في مكتبي، تساءلت عن السبب اجابتني صديقتها ان شقيقها حاصرها في الاسئلة اذا كان لها علاقات مع اي شاب وانه هددها بحرمانها من الدراسة اذا ثبت ذلك وبدأ بسؤال صديقتها ليتاكد من ذلك.

المشهد الثاني، طالبة انهت دراسة الفيزياء من الجامعة، ولم تكد تتخرج وهي في الفصل النهائي حتى قرر الاهل تزويجها من ابن عم لها يعمل ميكانيكياً وخريج الثالث الاعدادي، لانهم علموا من مصادرهم الخاصة ان ابنتهم على علاقة مع زميل لها ويريد الزواج منها، فما كان منها تحت ضغط الاهل الا ان هربت معه الى احد اقاربه ليتدخل في موضوع زواجها، وبعد مدة من الاخذ والرد من جانب الاهل، تظاهر الاهل بالموافقة لاعادتها الى المنزل، وبحيلة ما تم اخراجها من البيت هي وعماتها بحجة رؤية خطيبها، وفي الشارع العام سمع اطلاق الرصاص، وكانت هي الضحية واربع رصاصات في الراس، والجاني او الضحية الثانية شقيقها الاصغر، وهنا رفعت الاعلام في بيت ابيها وكأنه احتفال عرس، لقد غسل عارهم وشرفهم بدمائها، وللاسف عجزت عن مد يد العون لها منذ البداية وحتى النهاية.

ولم يبق لي سوى ان اتحدث عن هذه الظاهرة التي تذهب ضحيتها كل امرأة تريد حريتها، فلو بدأنا في البحث في هذه القضية لوجدناها موجودة في عمق التاريخ الانساني، حيث كانت النظرة للمرأة في بداية التاريخ على انها مصدر زيادة اعداد القبائل، فكانت الحروب من اجل سبي النساء وزيادة اعداد القبيلة، والاقوى هو من تكون اعداد النساء عنده اكثر، لان معنى هذا زيادة العدد واستمرارهم في الحياة بقوة، والقبيلة التي تخسر النساء يصيبها الذل والضعف لانها ستفقد اعدادا كبيرة من جراء سبي النساء.

لذلك بدأ المجتمع البدائي يربط الكثير من القيم بالمرأة مثل قيمة العز والحياة وترتبط بكثرة النساء ومظهرهن المترف وملابسهن الغالية، والقوة بالقدرة على حماية المرأة من السبي. فكانت قيمة الشرف والعار كذلك مرتبطة بالمرأة وعليها واجب هي ايضا المحافظة على هذه القيمة، وتطور المجتمع حتى كبّل المرأة بالكثير من القيم التي اصبحت فيما بعد عادات فكان زواجها من داخل القبيلة لضمان بقائها وكثرة العدد، ثم الزواج من ابناء العمومة لنفس الاسباب وغيرها من العادات التي ادت في نهاية الامر الى وأد المرأة في الجاهلية واضطهادها في العصور الوسطى لدرجة سجنها في الدير، او قتلها متى يشاء السيد في اوروبا. فجاءت الاديان التي نادت بمساعدة الضعيف والرحمة وغيرها من القيم الانسانية، والتي كان من ضمنها اعطاء المرأة حقها مع المحافظة على قيمة الشرف والعرض واعتبارهما عائدين على الرجل.

ومع تطور المجتمع الانساني ودخوله الكثير من الثورات الاجتماعية تغيرت النظرة الى قضية الشرف واصبح لها معان عدة، ولم تعد في المجتمع الحديث المدني مرتبطة بالمرأة لوحدها او بقضية ممارسة الجنس او زواجها من غير ارادة اهلها وهكذا، ولكن في المجتمعات البدائية ما زالت قضايا الشرف مرتبطة بالمرأة اولا واخيرا، وفي المجتمعات العربية والاردن خاصة هذه المجتمعات التي كانت تعيش حياة البداوة والتي تعني الغزو والحروب بين القبائل والمرتبطة بسبي النساء رغم ان بعض الشعوب العربية طرأ عليها بعض التطور ودخلت المدنية اليها، ولكن قيمة الشرف والعار ما زالت مرتبطة بالمرأة وعادة القتل من اجل الشرف بقيت موجودة وتعززت من قبل الاستعمار التركي والانجليزي والفرنسي بان اعتبر قتل الشرف هو شأن خاص بالعشائر ولا يتم ايقاف القاتل او التدخل في شؤون العشيرة لمحاكمته فكان من يقتل من اجل الشرف والعار لا يعاقب بل يخرج بطلا من المعركة، ومن لا يفعل ذلك يعتبر جبانا وخارجا عن العشيرة. حتى ان هذه القيمة قد عززت فيما بعد من خلال قانون العقوبات او بمعنى ادق انه تم تفسير القانون بحيث يتلاءم مع هذه القيمة، ففي القانون الاردني الخاص بالعقوبات هناك المادة ٩٨ والتي تنص على انه «.... يستفيد من العذر المخفف فاعل الجريمة الذي اقدم عليها بسورة غضب شديد ناتج عن عمل غير محق وعلى جانب من الخطورة اتاه المجني عليه» ... اضافة الى قوانين اخرى مثل المادة ٣٤٠ من القانون وهذه المواد قد فسرت في بلادنا لصالح قضايا الشرف، حيث ان الجاني اذا اثبت انه اقدم على القتل وهو تحت تاثير تلك الصورة السابقة يستفيد من العذر المخفف بحيث تخفض عقوبته الى حدود الجنحة بحيث تصل الى ستة اشهر فقط، وذلك للاعتبارات التي تقول ان شرف المرأة وعرضها مرتبط بالرجل وهو حق من حقوقه عليها ان تحافظ هي عليه علما بان هذا القانون يعطي الحق للرجل ولا تعامل المرأة بهذا القانون بالمثل واذا كانت تحت تاثير نفس الصورة السابقة تعتبر قتل عمد ولا يطبق عليها العذر المخفف.

□ قتل الشرف، عززه الاستعمار، واقرّه قانون العقوبات

□ جرائم الشرف في الاردن ... بتصاعد مستمر



كنت اتمنى ان احصل على بيانات عن قضايا الشرف في الماضي لكي استطيع المقارنة بها بما حصلت عليه في الحاضر، لكن للاسف لم استطع الحصول على شيء منها، ومع ذلك عند دراسة تطور المجتمع الاردني من مرحلة البداوة الى المرحلة المدنية الحديثة التي نعيشها حاليا نجد ان قضايا الشرف والعار، لم يتغير مفهومها، والسبب في ذلك ان التطور في الناحية المادية للحضارة سبق التطور الثقافي، قد نجد العمارات والمصانع والى اخره من تكنولوجيا حديثة جدا، ولكن لا نجد في المقابل تطوراً بالقيم او العادات الخاصة بالمرأة والعرض والشرف، وزواجها من الاقارب

المجتمع الاردني بين التطور المعرفي وتطور التخلُّف

ولان التطور المادي الاقتصادي اسرع من الثقافي مما ادى الى تخلخل اجتماعي في داخل قيم المجتمع واصبحت هنالك فئة اكثر تحررا من بعض القيم، وفئات اخرى وهي الاكثر في حالة ازدواجية القيم اي تقبل ان تُدخل الحضارة الى حياتها من اجل الترفيه، وكذلك تعليم الفتيات ودخولهن الى سوق العمل، الذي هو عنوان تحرر المرأة وفي المقابل ترفض ان تعطي المرأة حق تقرير شريك حياتها او حتى اختيار ما تريد ان تفعل في حياتها، وكانهم سخروا الحضارة من اجل خدمة قيمهم وعاداتهم وهذا ما يسمى بالمظاهر الكاذبة.

ويحدث هذا في المجتمعات التي تعاني البلبلة نتيجة الفوضى الاقتصادية التي تعم البلاد. والمعروف ان المجتمع الاردني مرّ بظرف اقتصادي هادئ، مما ساعد على تحرير المرأة ودفعها للعمل واعطائها هامشاً من الحرية الاجتماعية، ولكن الظروف الاقتصادية تغيرت نتيجة للتغير العالمي الذي يحدث الان من خلال العولمة الاقتصادية، مما سبب الفوضى الاقتصادية التي نعاني منها والتي اثرت على الوضع الاجتماعي، وبالتالي بدت الازدواجية في القيم تظهر بوضوح تام، فمثلا قيمة الاخلاق والسرقة اخذت مفهومين الاول وهو التنكر والرفض الاجتماعي، والثاني، مشروع ببلوغ نفس اللص وعن طريق التجارة غير المشروعة بمعنى السرقة، الى قمة الهرم من الغنى والجاه، بحيث يصبح له احترام داخل المجتمع ويعطى كمثال لغيره وخاصة الشباب.

ومن القيم المزدوجة ايضا قضية الشرف والعار، هي الاخرى صار لها وجهان واصبحت من ضمن القيم التي تقف في وجه تطور المرأة او متابعة مسيرتها في التحرر الحقيقي، فنتيجة للتغير الاقتصادي والبلبلة الثقافية تجد فئة كبيرة من المجتمع تعود الى العادات والقيم السلفية والتقوقع داخلها وهذا ناتج عن خوفها من التغير، وهذا ما حدث في الاونة الاخيرة وخاصة في بداية التسعينات في الاردن، وبما يخص قضية الشرف والعار وقضايا المرأة، فاصبح المجتمع في خوف من تحرر المرأة الحقيقي بعد ان سمح لها بالتعليم والعمل، فبدأ باستخدام الافكار والقيم السلفية لمحاولة السيطرة عليها وخاصة ان كل ما حولها يدفعها للتحرر واختيار ما تريد، من وسائل اعلام وانفتاح اقتصادي وحضارة مادية، كما هي في الدول المجاورة والتي تعطي الفرصة للمرأة بتثقيف ذاتها، وزيادة المعرفة لديها.

جدول رقم (١)

التوزيع العمري للضحية

الفئة العمرية	النسبة المئوية
١٧ - ٢٠ سنة	٪٣٧.٥٠
٢١ - ٢٥ سنة	٪١٨.٧٥
٢٦ - ٣٠ سنة	٪١٢.٥٠
٣١ - ٣٥ سنة	٪١٨.٧٥
٣٦ - ٤٠ سنة	٪٦.٢٥
اكثر من ٤٠ سنة	٪٦.٢٥

جدول رقم (٢)

علاقة الجاني بالضحية

علاقة القاتل مع الضحية	النسبة المئوية
الاخ	٪٧٥.٠٠
الزوج	٪١٢.٥٠
الاب	٪٦.٢٥
ابن العم	٪٦.٢٥

جدول رقم (٣)

الفئة العمرية للجاني

الفئة العمرية للجاني	النسبة المئوية
١٥ - ٢٠ سنة	٪١٨.٧٠
٢١ - ٢٥ سنة	٪٣١.٢٠
٢٦ - ٣٠ سنة	٪٦.٥٠
٣٦ - ٤٠ سنة	٪١٨.٧٠
٤١ - ٤٥ سنة	٪١٢.٥٠
٥٦ - ٦٠ سنة	٪٦.٢٥
٦١ - ٦٥ سنة	٪٦.٢٥

جدول رقم (٤)

الحالة الاجتماعية للضحية

الحالة الاجتماعية	النسبة المئوية
متزوجة	٪٥٦.٢
عزباء	٪٣٧.٥
مطلقة	٪٦.٢

جدول رقم (٥)

المستوى الاجتماعي والاقتصادي

المستوى الاجتماعي والاقتصادي	النسبة المئوية
لم يكن من المستطاع تحديده	٪١٢.٥٠
جيد جدا	٪٣١.٢٠
جيد	٪١٨.٧٠
متوسط	٪٦.٢٠
سيء	٪٣١.٢٥

وما حصلت عليه من ارقام وجداول تعطي هذه الصورة عن المجتمع الاردني الذي يعيش في ازدواجية نحو قيمة الشرف والعار، وقد حصلت على هذه المعلومات من خلال قسم الطب الشرعي ومن ضمن ورقة قدمها الدكتور مؤمن الحديدي والدكتور هاني جهشان، وسندع الارقام تتكلم. وفيما يلي الارقام عن عدد جرائم القتل العمد والشروع فيه الواقعة على المرأة في الاعوام ١٩٩٣ وحتى عام ١٩٩٥ واسباب هذه الجرائم هي قضايا الشرف.

في عام ١٩٩٣ بلغ عدد الحالات بمجموع ٥٩ حالة منها ٤١ حالة قتل و١٨ شروع بالقتل، وفي عام ١٩٩٤ بلغت ٥١ حالة منها ٣٤ حالة قتل و١٧ شروع بالقتل، وفي عام ١٩٩٥ بلغت ٦٢ حالة منها ٣٥ حالة قتل و٢٧ شروع بالقتل، يعني ان الحالات في ازدياد كما تظهر الارقام في عام ١٩٩٥، وقد تمت متابعة بعض المتغيرات من خلال الحالات التي ارتكبت في عام ١٩٩٥، فكان لديهم مجموعة من الجداول التي تظهر ازدواجية القيم ومدى حجم مأساة المرأة التي تحاول ان تكون هي كما تريد، فالجدول الاول يعطي التوزيع العمري للضحية مع النسبة المئوية، والجدول الثاني يعطي العلاقة بين الجاني والضحية، والجدول الثالث يعطي الفئة العمرية للجاني، والجدول الرابع يعطي فكرة عن الحالة الاجتماعية للضحية والجدول الاخير يعطي المستوى الاجتماعي والاقتصادي للضحية. وفيما يلي الارقام:

وبالقاء نظرة على الجدول الاول تستطيع ان تحدد ضحايا الشرف واغلبهن من الفتيات في بداية العمر، واللواتي يعتبرن ان الحياة تستحق ان تناضل من اجل الافضل، وهنّ بالغالب من مستوى اجتماعي واقتصادي جيد اي تكون نسبة المتعلمات بينهن لا باس بها.

وايضا وجدت فئة عمرية متوسطة وبالنظر الى الحالة الاجتماعية تجد ان نسبة المتزوجات لا باس بها وهذا دليل على ان الخلافات الزوجية هي سبب، ورغبة الزوج في اعتبار المرأة ملكية خاصة والعقلية السلفية بما يخص المرأة قد تكون وراء جرائم القتل ضد هؤلاء النسوة.

ولو درست الجانب الثاني من الجداول وهو الجاني او ضحية المجتمع تعطي الارقام ان الاخ اعلى نسبة وفئة اعمار الشباب من مرتكبي هذه الجرائم هي اعلى النسب لو اردنا معرفة حقيقة مشاعر هؤلاء القتلة لوجدناهم بالحقيقة ضحايا للمجتمع ويعانون بعد ذلك طول حياتهم من اضطرابات نفسية نتيجة ارتكابهم ذلك الجرم، وخاصة ان المجني عليهنّ من شقيقاتهم، اي ان المجتمع والاسرة تخسر اثنين من ابنائها البنت وشقيقها.

كم هي مأساة هذه الاسر، التي تكيل بمكيالي القيم والشرف ان تباع البنت وتشترى كأنها جارية، هذا شرف واخلاق، اما ان تختار حياتها ومن سيكون شريك حياتها فهذا عار، والنتيجة خسارة ابنائنا وتحطيم نفسياتهم ومع كل هذه المعايير نسمح لانفسنا ان نتعاطف مع الاميرة ديانا وعشيقها، وللابن الذكر ان يختار من يشاء وننسى ان لنا بناتاً هن ايضا لهن اذان تسمع وعقول تفكر وتحلم باحلام وردية من غير ان تعلم ان ثمنها حياتها ودمها.

واخيرا فان الجداول والارقام تستطيع ان تتحدث عن نفسها وتعطي حجم المأساة التي تعاني منها الانثى في الاردن والوطن العربي.

□ غالبية ضحايا جرائم الشرف من مستويات اجتماعية واقتصادية جيدة